جامعة: جنوب الوادى-فرع الغردقة

كلية التربية

محاضرات فى مقرر البلاغة العربيَّة

"علم المعانى"

الفرقة: الثالثة عام لغة عربية

إعداد/

قسم اللغة العربية

٢٠٢٢-٢٠٢٣م

بيانات المقرر:

الكلية: كلية التربية بالغردقة– جامعة جنوب الوادى.

الفرقة: الثالثة عام.

التخصص: لغة عربية

التاريخ: ٢٠٢٢-٢٠٢٣م.

عدد الصفحات: ١٤٧ صفحة.

عدد ساعات المقرر: ٦.

الإعداد: قسم اللغة العربية.

****

رؤية الكلية:

كلية التربية بالغردقة مؤسسة رائدة محليًا ودوليًا في مجالات التعليم، والبحث العلمي وخدمة المجتمع، بما يؤهلها للمنافسة علي المستوي: المحلي، والإقليمي، والعالمي.

رسالة الكلية:

تلتزم كلية التربية بالغردقة بإعداد المعلم أكاديميًا ومهنيًا وثقافيًا من خلال برامجها المتميزة بما يؤهله للمنافسة والتميز في مجتمع المعرفة والتكنولوجيا، ومواجهة متطلبات سوق العمل محليًا وإقليميًا، وتهتم بتطوير مهارات الباحثين بما يحقق التنمية المهنية المستدامة، وتوفير خدمات تربوية لتحقيق الشراكة بين الكلية والمجتمع.

مقدمة

لعلم البلاغة أهمية بارزة في اللغة العربية، منها ما يأتي: وضوح دلالة الحديث تُساعد البلاغة المُتكلم على تصيير الكلام وجعله مفهوما واضح الدلالة، ومن هنا جاء نوعها الأول الذي هو "علم المعاني" والذي يُعنى بتعليم المُتحدّث فنّ التعبير عن مُراده بألفاظ قليلة للدلالة على معانٍ كثيرة، سواء باستخدام المُحسنات اللفظية أو المُحسنات البديعية، والذي يُعنى بدراسته "فن البديع".

وضوح معنى الجملة لعلم البلاغة أهميّة سياقيّة بالغة الفائدة، حيث إنّنا نستطيع التعرّف على معنى الجملة عند وضعها في سياق كلامي ضمن تركيب مُعيّن بترتيب مُعيّن مدروس بالشكل الذي يُعين القارئ على فهم معنى الجملة بشكل واضح ودال على مُراد المُتكلّم، ومنعاً للالتباس الذي قد يُصيب القارئ إثر ذِكْر المُتحدّث كلمات غامضة المعنى مُنفردة الذِّكر.

على سبيل المثال كلمة (الرجل) تكون ذات معنى غير مفهوم وواضح عند ذكرها مُنفردة، ولكن عند قولنا (صدق الرجل) أو(كذب الرجل)؛ فهذان تركيبان أحدهما يوضّح أنّ الرجلَ قد صدق –بأسلوب مدح– والآخر أن الرجلَ قد كذب –بأسلوب ذم–، وبهذين المثالين اتضح المعنى المُراد من كلمة الرجل بوضعها في سياقَين لغويين واضحَي الدلالة.

إقناع المخاطَب يُساعد علمُ البلاغة المُتكلمَ في إقناع المُخاطَب، حيث يستطيع المُتحدّث إقناع المُخاطَب باستخدام قوّة الإثبات والنفي على القدر الذي يتطلبه إنكاره، فإن كان مُترددا استعان المُتحدث بمُؤكد –أدوات

التوكيد– كي لا يصير مُنكرا، وإن كان مُنكراً استعان المُتحدّث بمُؤكد على قدر إنكار المُخاطَب.

معرفة إعجاز القرآن الكريم يستطيع الدارس لعلم البلاغة فهم التراكيب اللغوية والمُحسنات البديعية الكلامية –اللفظية والمعنوية– المذكورة في القرآن الكريم، وبالتالي فهو يستطيع فهم المعاني الخفية، ولأنّ إعجاز القرآن مُرتبط بفصاحته كلّ الارتباط، فالغافل بعلم البلاغة والفصاحة غافل لا شك بإعجاز القرآن الكريم، وحُسْن تأليفه، وبراعة تراكيبه، وجمال إيجازه البديع، واختصاره اللطيف.

البعد عن الجهل يرتقي علم البلاغة بدارسه وطالبه عن الجهل وغفلة العلم، فطالب علم البلاغة يتعلّم فنون الحديث، والكتابة، والفهم لمحاسن الكلام ومعانيه، فينتقي كلامه أحسن انتقاء إذا ما تحدّث، ويفهم ما يسمع بأفضل ما يُمكن، وإذا ما كتب فإنّه يُفرّق بين جيّد الكلام، ورديئه، وحسنه، وقبيحه، فيصيغ الكلام ويجمّله بأبدع التعابير، فيُبعد بذلك عن الجهل والنقص ويرتقي بكتاباته إلى أحسن النصوص.

تعلم فن الحديث تُعلم البلاغة فنّ الحديث وتُعين المُتعلّم على فهم أساليب التحدّث السليمة الخالية من العيوب اللفظية والنطقية، وتعلمه فنّ التفريق بين صنوف الأساليب، وفنّ اختيار الكلمات والأساليب المُناسبة كالإيجاز، وصحة المُقابلات، وصحة التفسير وغيرها، بالإضافة إلى فنّ انتقاء أحسن الكلام وترك أردئه حسب مقامات الكلام، ومواطنه، وحال السامعين، ونزعتهم النفسية وقت الحديث.

تصحيح مسار الأدباء والمبدعين يستطيع النقاد والمُعلمون تصحيح مسار الأدباء والمُبدعين من خلال تطبيق قواعد علم البلاغة على نِتاجهم الإبداعي، ولا شك في أنّ نقد أعمالهم ومُحاولة تصحيحها أمر بالغ الأهمية فهو يُنبههم على أخطائهم ويُساعدهم في تعلّم طريقة الكتابة السليمة والخالية

من الأخطاء اللغوية والتعبيرية، ويمدّهم بفُرص تعديل أخطائهم وتصحيح مسار كتابتهم الإبداعية

وفقكم الله وسدد خطاكم

الباب الأول

علـــم المعانـي

علم المعانـي:

هو فرعٌ مِن فروعِ علم البلاغة الثلاثة (المعاني، والبيان، والبديع) ويختَّصُ بعُنصر المعاني والأفكار، فهو يُرشدُنا إلى اختيار التركيب اللُّغوي المناسِب للموقف، كما يرشدنا إلى جعل الصورة اللفظية أقرب ما تكون دلالةً على الفكرة التي تخطُر في أذهاننا، وهو لا يقتصرُ على البحثِ فِي كُلِّ جُملَةٍ مُفرَدةٍ على حِدَة، ولكِنَّهُ يمد نطاق بحثِهِ إلى علاقة كل جملة بالأخرى، وإلى النص كله بوصفه تعبيراً متصلاً عن موقفٍ واحد، إذ أرشدنا إلى ما يُسمَّى: الإيجَازَ والإطنابَ، والفَصلَ والوَصلَ حسبما يقتضيهِ مَثَلُ الاستعارةِ والمَجازِ المُرسَلِ والتَّشبيهِ والكِنايَة. فعلمُ المعاني يُعلِّمُنا كيف نُرَكِّبُ الجُملةَ العربيةَ. لأجلِ إصَابَةِ الغرضِ المعنوي الذي نريدُ مِن خِلَالِ هذهِ الجُملة، على اختلافِ الظروفِ والأحوال.

تعريف علم المعاني

إنَّ الكلامَ البليغَ: هو الذي يُصوِّرُه المُتكلِّمُ بصورةٍ تُناسِبُ أحوالَ المُخاطبين، وإذاً لابُدَّ لطالبِ البلاغِة أن يدرس هذه الأحوال، ويَعرفَ ما يجبُ أن يُصَوَّرَ بِهِ كلامهُ في كل حالةٍ، فيجعلُ لِكُلِّ مَقامٍ مقَالاً، إذا؛ فعلمُ المعاني: هو عِلمٌ يُعرَفُ بِهِ أحوال اللَّفظِ العربيِّ التي بِها يُطابِقُ مُقتَضى الحال. وهذا التعريفُ منسوبٌ إلى الخَطيبِ القزوينيّ وقد ذكرهُ في كِتابِهِ الإيضاح، وعلى هَذَا التعريفِ اندرجَ عُلمَاءُ البَلاغَةِ المُتأخِّرينَ، ومَعنَى الحالُ في التعريف: أي الحالُ التي وَقَعَ فيها ذِكرُ هذا الكَلام، والمُقتَضى: ما تَقتَضيهِ هذهِ الحالُ مِن صُوَرٍ مُختَلِفةٍ في الكَلام، ولِكُلِّ مَقامٍ مَقال، وعلم المعاني يهتَمُّ بتوافقِ الكلامِ مع مقامهِ ومُقتَضَاهُ.

ولَعَلَّ أوَّل مَن سَمّى عِلمَ المعاني بهذه التَسميةِ شيخُ البلاغيين: عبد القاهر الجَرَجَانِيّ في كتابِهِ دَلائِلُ الإعجاز، وقد كان يقصدُ بِكلِمَة المعاني: معاني النَّحو أَوَّلاً وأَخيرا.

فقال يَشرَحُ المُرادَ مِن علمِ المعاني: أنه ائتلَافُ الألفاظِ ووضعُهَا في الجُملةِ الموضِعَ الذي يفرضهُ معناه النَّحوِي. وقال في موضعٍ آخر: واعلم أَنَّ ليسَ النَّظمَ إلَّا أن تَضَعَ كلامكَ المَوضِعَ الذي يقتضيهِ عِلمُ النَّحو، فتعملُ على قوانينِهِ وأُصولِهِ وتعرفُ مَنَاهِجَهُ التي نُهِجَت فلا تَزيغُ عنها، وتحفظَ الرُسُومَ التي رُسِمَت لَك، فلا تَخِلَّ بِشَيءٍ منها.

وهذا هو السبيل، فلستَ تجدُ شيئاً يَرجِعُ صوابُهُ إن كان صوابا، وخطؤهُ، إن كان خطأً، ويدخلُ تحت هذا الاسم إلا وهو معنىً مِن معاني النَّحو، قد أُصِيبَ بِهِ موضِعُهُ، ووُضِعَ في حَقِّهِ، أو عُومِلَ بِخلافِ هَذِهِ المُعاملةِ، فأُزيلَ عن مَوضِعِه، واستُعمِلَ في غَيرِ ما ينبغي له، ولِتبسيطِ هذا التعريفِ نضرِبُ مَثلاً: فقد نَجِدُ في العربيةِ عَدَدَا مِن التراكيبِ والجُمَلِ لا يَتَعَدَّى إعرابُها النَّحوي المُبتدأ والخبر؛ مثل قولنا: أحمدٌ كريمٌ، أحمدٌ الكريم، أحمدٌ هو الكريم، فإذا ما اكتفينا بهذا الإعراب بَدَتْ هَذِهِ الجُمَلُ على قدمِ المساواةِ وكأنَّ لا فرقَ بينها في المعنى، في حين أَنَّها تختلِفُ في مَدلُولاتِها المَعنويَّةِ اختلافاً كبيرا، هذا الاختلافُ في المعاني من مُهمَّاتِ عِلمِ المعاني. مثالٌ آخر: قد لا ندركُ الفَرقَ المَعنويَّ بينَ قولِنا: أنا ما سَمِعتُ، وما أنا سَمِعتُ، وما سَمِعتُ أنا.

لَكِنَّ عِلمَ المعاني هو الذي يُعلِّمُنا هذهِ الفروق، ويقِفُنا على هَذِهِ المعاني المُتباينةِ بين كُلِّ هَذِهِ التراكيب، إذا فعلمُ المعاني هو رُوحُ النَّحوِ وعِلَّتُهُ، وبيانُ أغراضِهِ وأحوَالِهِ، فهو يُعلِّمُنا متى نجعلُ الجُملةَ خَبَرِيَّةً، ومتى نجعلها إنشائية، ويُبَيِّنُ لنا السَّبَبَ في هَذِهِ وتِلكَ، ويجعلنا نغوص في معاني الجُمَلِ وما يرِدُ فيها من قَصرٍ وفَصلِ و تقديمٍ وتأخيرٍ وغيرِ ذلك.

وقال السَّكَاكِي: (عِلمُ المَعَانِي: هو تَتَبُّعُ خَوَاصِ تراكيبِ الكَلَام في الإفادةِ، ومَا يَتَّصِلُ بِهَا مِن الاستِحسَانِ وغَيرِه، لِيَحتَرِزَ بِالوقوفِ عليها عنِ الخَطَأِ في تطبيقِ الكَلامِ على ما يقضِي الحَالُ ذِكرَه)

وَلَعلَّ مِن هَذَا القَبِيلِ مَا رُوِيَ أَنَّ أعرابيًّا سَمِعَ قَارِئا يقرأُ قولُه سُبحَانَه:- {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوْاْ أَيْدِيَهُمَاْ جَزَاْءً بِمَا كَسَبَا نَكَاْلاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ -غفور رحيم-}- [المَائِدَة: الآيةُ ٣٨]، فاستَّنكَرَ مِنهُ خِتَامَ الآيةِ بِصِفَةِ الرَّحمةِ والمَغفِرَة، حتَّى تنبَّهَ القارئُ إلى خطئِهِ فأعادَ القراءةَ على الصَّحِيح تالياً: -{ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ ... واللَّهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ}- كَمَا نَزَلَت في كِتَابِ اللَّه، عِندَ ذلكَ قال الأعرابِيُّ الآنَ: استقامَ المَعنَىْ.

فلا يُسْتَحسَنُ في مَقامِ العُقوَبةِ، وتَهديدِ السَّارقِ بقطعِ يَدِهِ، والأَمر بِذلكَ إِنِ سَرَقَ إِلَّا أَنْ يُقالَ: (وَاللَّهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ). حيثُ يُوصَفُ الرَّبُّ سُبحَانَهُ بِالعِزَّةِ التِي مِنها أَنْ يَأمُرَ بِمَا يَشَاءُ بِمَن يُخالِفُه، ثُمَّ بالحِكمَةِ التي مِنها ألَّا تزيدَ العُقوبةُ عن مِقدارها أو تَنقُص عنه، بَل تكونُ مُساويَةً للذِنبِ ومُقارِبَةً له.

ومِن هَذَا القَبيلِ ألَّا يَتفاخَرَ إنسانٌ في مَقامِ الاستِجداءِ والسؤال، وألَّا يَمدحَ مَن يشكو إلى مَن هو أكبرُ مِنه، ولا يَضَحكُ فِي مَقامِ التَّعزيةِ، وألَّا يَعبِسَ أو يُقطِّبَ في خُطبَتِه أو كَلامِه أو شِعرِهِ في مَقامِ التَّهنِئَة.

موضوعات علم المعاني

وتَتَبُّعُ خَوَاصِ تَراكيبِ الكَلَامِ ومَعرِفَةِ تَفاوتِ المَقامَات، حتى لا يَقَعَ المَرءُ في الخَطَأِ فِي تطبيق الأُولى عَلَى الثَّانيةِ، هو من أغراضِ عِلمِ المَعاني، وذلك كما في أبجد العلوم. لِأَنَّ للتراكيبِ خَواصاً مناسبةً لها يعرِفُها الأُدباءُ إما بِسليقَتِهِم، أو بِمُمارسَةِ عِلمِ البَلاغَةِ، وتِلكَ الخَواصُ بعضُها ذَوقِيةٌ وبعضُها استِحسَانية، وبعضُها تَوابِعٌ ولَوَازِمٌ لِلمَعانِي الأَصلِية لُزُوماً مُعتَبَرا في عُرفِ البُلغَاء، وإلَّا لَمَا اختَصَّ فِهمُهَا بصاحبِ الفطرةِ السَّليمة، وكذا مَقاماتُ

الكلامِ مُتفاوتة، كمَقامِ الشُّكرِ والشِكايةِ، والتَّهنِئَةِ والتَّعزِيَةِ، والجِدِّ والهَزَل، وغَيرِ ذلكَ مِنَ المقامات، فكيفيةُ تطبيقِ الخَواصِ على المَقامَات تُستفادُ مِن عِلمِ المَعانِي، ومَدارهُ على الاستِحساناتِ العُرفِية.

وعليهِ فإنَّ عِلمَ المعانِي يتَضَمَّنُ شَيئينِ اثنين: الأَوَّلُ دراسةُ الكلمةِ المُفرَدةِ في مُختَلَفِ أحوالِها، والثاني مُطابقةُ هَذِهِ الكلِمَةِ مُقتَضَى الحال، ولِتَسهيلِ دِراسَةِ مَباحثِ هذا العِلم ومَعرِفةِ ما يَتَضمَّنُه، قَسَّمَهُ عُلَماءُ البَلاغَةِ إلى ثَمانيةِ أبحاثٍ هِيَ:

أَحوالُ الإِسنادِ الخَبَريّ.

الإِنْشَاء.

أَحوالُ المُسنَد إليه.

أَحوالُ المُسنَد.

أَحوالُ مُتَعلَّقاتِ الفِعل.

القَصر.

الفَصلُ والوَصل.

الإيجازُ والإطنابُ والمُساواة.

****

الفصل الأول

الإيجاز والإطناب والمساواة

الإيجاز والإطناب والمساواة

لا يعدو التعبير عن المعاني التي تجول في الذهن، وعن العواطف التي يجيش بها الصدر، طريقا من هذه الطرق الثلاث: الإيجاز، والإطناب، والمساواة، وسنبحث كلّ طريق بحثا منفصلا عن الآخر.

أوّلا: الإيجاز:

١ . ١. تعريفه:

عرّفه الشيخ عبدالقاهر الجرجاني بقوله: «أداء المقصود بأقلّ من العبارة المتعارفة»، وعرّفه معجم المصطلحات العربية بقوله: «هو التعبير عن المعاني الكثيرة باللفظ القليل»، وعلينا أن ندرك أن الإيجاز لغة يفيد التقّصير، وأنّه في الاصطلاح يعني: اندراج المعاني الكثيرة تحت اللفظ القليل، وقد رأى البلاغيون ان الألفاظ القليلة فيه يجب أن تفي بالمراد مع الإبانة والإفصاح وتناسقها مع حال المخاطب، مثاله، قوله تعالى: **(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ)** الأعراف: ١٩٩، فلقد جمعت الآية على قصرها مكارم الأخلاق جميعا دون إخلال أو حذف ملبس، ومثاله أيضا قوله –صلى الله عليه وسلم–: (إنّما الأعمال بالنيّات) فالحديث يتضمّن معاني كثيرة تشعّ بها الألفاظ وتومئ إليها من غير إخلال بالمعنى، لهذا قال الرمّاني: «الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى».

١ . ٢. نوعاه:

ينقسم الإيجاز إلى قسمين، هما:

أ . إيجاز قصر:

وهو ما تزيد فيه المعاني على الألفاظ ولا يقدّر فيه محذوف، ويسمى أيضا إيجاز البلاغة لأن الأقدار تتفاوت فيه، مثاله قوله تعالى **(أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ)** الأعراف: ٥٤، لقد جمعت الآية فأوعت حتى إنه روي أنّ ابن عمر (ر) قرأها فقال: من بقي له شيء فليطلبه، ومثاله أيضا قوله –صلى الله عليه وسلم–: (الضعيف أمير الرّكب)، فالحديث جمع من آداب السفر والعطف على الضعيف ما لا يسهل التعبير عنه إلّا بالقول المسهب،ومنه قول السموءل (الطويل):

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس الى حسن الثناء سبيل

فقد جمع البيت الصفات الحميدة من سماحة وشجاعة وتواضع وحلم وصبر واحتمال مكاره في سبيل طلب الحمد إذ كل هذه مما تضيم النفس، وبهذا النوع من الإيجاز تغنّى البلاغيّون فقالوا : «القليل الكافي خير من كثير غير شاف».

ب . إيجاز حذف:

ويكون بحذف شيء من العبارة لا يخلّ بالفهم، مع وجود قرينة لفظية أو معنوية تدلّ على المحذوف، ويكون هذا المحذوف.

أ . حرفا:

كقوله تعالى: **(وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا)** مريم: ٢٠، فلقد حذفت النون من (أكن) تخفيفا.

ب . اسما مضافا:

كقوله تعالى: **(وَجاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ)** الحج: ٧٨ والمحذوف (سبيل) وجاهدوا في سبيل الله...

ج . اسما مضافا إليه:

كقوله: **(وَواعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ)** الأعراف: ١٤٢ فحذف المضاف اليه (ليال) والتقدير بعشر ليال.

د . اسما موصوفا:

كقوله تعالى: **(إِلَّا مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً)** مريم: ٦٠ أي عملا صالحا.

هـ . اسما صفة:

كقوله تعالى: **(مُتَّكِئِينَ فِيها يَدْعُونَ فِيها بِفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرابٍ)** ص : ٥١ أي وشراب كثير بدليل ما قبله.

و . شرطا:

كقوله تعالى: **(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ)** آل عمران : ٣١ أي فإن تتّبعوني يحببكم الله.

ز . جواب شرط:

كقوله تعالى: **(وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها وَفُتِحَتْ أَبْوابُها)** الزمر: ٧٣، كأنه قيل: قد حصلوا على النعيم المقيم، والحذف هنا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ذكر الجواب لقصر على وجه واحد تتضمّنه العبارة، والحذف يترك للنفس أن تقدّر ما يحلو لها رؤيته...

ح . مسندا:

كقوله تعالى: **(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ)** لقمان: ٢٥ أي خلقهن الله.

ط . مسندا إليه:

كقول حاتم الطائي (الطويل):

أماويّ ما يغني الثّراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

أي إذا حشرجت النّفس.

ي . المعطوف:

كقوله تعالى: **(لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقاتَلَ)** الحديد: ١٠ والتقدير: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل، ومن أنفق من بعده وقاتل، والقرينة الدالة على ذلك قوله تعالى بعد ذلك: **(أُولئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقاتَلُوا)** الحديد: ١٠

ك . جملة:

والمقصود هنا (جملة تامة لا تكون جزءا من كلام آخر وإلّا دخل الشرط والجزاء المعطوف ضمنها)، ومثاله قوله تعالى: **(وَإِذِ اسْتَسْقى مُوسى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً)** والتقدير: فضرب فانفجرت، فحذف السبب وذكر المسبب.

ل . جملا:

كقوله تعالى: **(فَقُلْنَا اذْهَبا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَدَمَّرْناهُمْ تَدْمِيراً)** الفرقان: ٣٦ والجمل محذوفة فأتياهم، فأبلغاهم الرسالة، فكذبوهما...حتى يكون العقاب فدّمرناهم تدميرا، ولقد بيّن الرمّاني الأثر النفسي للحذف قائلا بعد ذكر الآيتين الآتيتين: **(وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى)** الرعد

:٣١، و**(وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذا جاؤُها وَفُتِحَتْ أَبْوابُها)** الزّمر :٧٣، «وإنّما صار الحذف في هذا أبلغ من الذّكر لأنّ النفس تذهب فيه كلّ مذهب، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمّنه البيان».

&&&&&&&&&

ثانيا: الإطناب:

٢ . ١. تعريفه:

عرّفه الجرجاني بقوله: «أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة»، وجاء في معجم المصطلحات العربية أنّه: «أداء المعنى بلفظ زائد عليه لفائدة» وأعطى مثلا عليه قوله تعالى: **(تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها)** القدر: ٤ فالإطناب هنا بذكر الخاص (الروح أي جبريل) بعد العام (الملائكة) والفائدة: تعظيم جبريل، والتنويه بشأنه، والإطناب لغة: التطويل، أطنب في كلامه: بالغ فيه وطوّل ذيوله.

٢ . ٢. صوره:

للإطناب صور كثيرة أهمها:

أ . ذكر الخاص بعد العام:

كقوله تعالى: **(حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطى)** البقرة: ٢٣٨ فقد خصّ الله تعالى الصلاة الوسطى بالذكر مع أنها داخلة في عموم الصلوات تكريما لها، وتعظيما لشأنها، وقد ذكرت مرتين: مرّة مندرجة تحت العام، وأخرى وحدها، والصّلاة الوسطى: العصر.

ب . ذكر العام بعد الخاص:

كقوله تعالى: **(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ)** نوح: ٢٨، فالمؤمنون والمؤمنات لفظان عامّان يدخل فيهما من ذكر قبل ذلك، وذلك لإفادة العموم مع العناية بالخاص، وقد ذكر مرّتين: مرة وحده، وأخرى مندرجا تحت العام.

ج . الإيضاح بعد الإبهام:

وذلك لإظهار المعنى في صورتين إحداهما مجملة، والثانية مفصّلة، وبذلك يتمكن المعنى في نفس السامع فضل تمكن، مثاله قوله تعالى: **(وَقَضَيْنا إِلَيْهِ ذلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ)** الحجر: ٦٦، فلفظ (الأمر) فصّل بالجملة (أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) والغاية تقرير المعنى بذكره مرّتين.

د . التوشيع:

وهو أن يؤتى في عجز الكلام غالبا بمثّنى مفسّر باسمين ثانيهما معطوف على الأول، نحو قوله –صلى الله عليه وسلم–: «يشيب ابن آدم وتشيب معه خصلتان: الحرص وطول الأمل» وقد يكون المثّنى في أول الكلام، كقوله: منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب مال.

هـ . التكرار:

وهو ذكر الشيء مرّتين أو اكثر لأغراض منها، تقرير المعنى في النفس، كقوله تعالى: **(كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ)** التكاثر: ٣ . ٤ فتوكيد الإنذار بالتكرار أبلغ تأثيرا، وأشدّ تخويفا للسامع والقارئ.

. استمالة القلوب، كقوله تعالى: **(وَقالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ* يا قَوْمِ إِنَّما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا مَتاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دارُ الْقَرارِ)** غافر: ٣٨ . ٣٩ ففي تكرار يا قوم استمالة للقلوب.

. طول الفصل، كقوله تعالى: **(يا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ)** يوسف: ٤ فكرّر (رأيت) لطول الفصل.

و . الاعتراض:

هو أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متّصلين بالمعنى، بجملة أو اكثر، لا محلّ لها من الاعراب لفائدة سوى فائدة دفع الإبهام. ويأتي لأغراض منها:

. التنزيه، كقوله تعالى: **(وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَناتِ سُبْحانَهُ وَلَهُمْ ما يَشْتَهُونَ)** النحل :٥٧

. التعظيم، كما في قوله تعالى: **(فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)** الواقعة: ٧٥ و٧٦ ففي الآيتين اعتراضان: الأوّل: إنه لقسم عظيم، والثاني: لو تعلمون، وقد أريد بهما تعظيم القسم، وتفخيم أمره.

. الدعاء، كقولك: إنّي –حفظك الله – مريض.

ز . التذييل:

هو تعقيب الجملة بجملة أخرى مستقلة تشتمل على معناها للتأكيد، وهو نوعان:

. ما يجري مجرى المثل، كقوله تعالى: **(وَقُلْ جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً)** الإسراء: ٨١ فقوله تعالى، إن الباطل كان زهوقا، تذييل أتي به لتوكيد الجملة قبله، وهو جار مجرى المثل.

. ما لا يجري مجرى المثل، فهو لا يستقلّ بمعناه، وإنّما يتوقف على ما قبله، كقوله تعالى: **(ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا وَهَلْ نُجازِي إِلَّا الْكَفُورَ)** سبأ: ١٧ فجملة وهل نجزي إلا الكفور مؤكدة للأولى، وليست مستقلة عنها، ولم تجر مجرى المثل.

ح . التكميل أو الاحتراس:

وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الإبهام، ومثاله قوله تعالى: **(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ)** فالجملة: أذلة على المؤمنين، توهم ان يكون ذلك لضعفهم، فدفع ذلك الوهم بقوله تعالى: **(أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ)** ففي ذلك تنبيه على أنّ تلك الذلّة ليست إلا تواضعا منهم بدليل أنهم أعزّة على الكافرين.

ط . التتميم:

وهو أن يؤتى بفضلة أو حشو في ما لا يوهم خلاف المقصود، وذلك على سبيل المبالغة، ومثاله قوله تعالى: **(وَآتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبى وَالْيَتامى)** البقرة: ١٧٧ فقوله على حبّه تتميم لأن المعنى تمّ قبلها، ومثاله أيضا قوله تعالى: **(لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)** آل عمران: ٩٢ فمما تحبّون تتميم لأنّ المعنى يتمّ بقوله (تنفقوا).

* وقد يكون الإطناب بزيادة حرف على أصل المعنى لغرض من الأغراض، نحو: زيادة (أن) بعد (لمّا) كما في قوله تعالى: **(فَلَمَّا أَنْ جاءَ الْبَشِيرُ أَلْقاهُ عَلى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً)** يوسف: ٩٦ فزيادة (أن) فيه للدلالة على أن الفعل بعدها لم يكن على الفور، بل كان فيه تراخ وبطء.

. ونحو زيادة (ما) بعد (إذا) كما في قوله تعالى: **(وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَواحِشَ وَإِذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ)** الشورى: ٣٧ فزيادة (ما) للدلالة على قلة حدوث الفعل الذي بعدها ، فهي تشير الى ان المؤمنين لا يغضبون إلّا قليلا.

* يستحسن الإطناب في مواضع: المدح، والثناء، والإرشاد، والتوجيه ، والوعظ، والخطابة، وبيانات الحكومة، وكتب الولاة إلى الملوك، وما إليها.

&&&&&&&&

ثالثا: المساواة:

٣ . ١. تعريفها:

هي تأدية المعنى المراد بعبارة مساوية له بحيث يتساوى اللفظ والمعنى فلا يزيد أحدهما على الآخر، ومثاله قوله –صلى الله عليه وسلم– "إنّما الأعمال بالنيّات، ولكل امرئ ما نوى"، فإنّ اللفظ فيه على قدر المعنى، لا ينقص عنه، ولا يزيد عليه، وقول طرفة بن العبد (الطويل):

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

فالبيت لا يستغني عن لفظ من ألفاظه، ولو حذف منه شيء لاختل معناه.

* المساواة هي الأصل المقيس عليه، ولا داعي للاستفاضة في شرحها وتعليل أسبابها وطرقها.

تمارين:

١ . بيّن الإيجاز، والإطناب، والمساواة، وأقسام كل منها في ما يأتي:

١ . قال تعالى:

–**(وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً)** الإنسان: ٨

٢ . قال تعالى:

–**(وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ)** فاطر: ٤٣

٣ . قال تعالى:

–**(مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ)** الروم: ٤٤

٤ . قال تعالى:

–**(كُلُّ امْرِئٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ)** الطور: ٢١

٥ . قال تعالى:

-**(فَلَمَّا أَنْ أَرادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُما)** القصص: ١٩

٦ . قال تعالى:

-**(فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى وَاللهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى وَإِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ)** آل عمران: ٣٦

٧ . قال تعالى:

-**(إِنَّ اللهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ)**

٨ . قال تعالى:

-**(فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً)** الشرح: ٥ . ٦

٢ . بيّن الإيجاز، والإطناب، والمساواة، وأقسام كل منها في ما يأتي:

قال الشاعر:

١ . ألا حبذّا هند وأرض بها هند وهند اتى من دونها النأي والبعد

وأيضًا:

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنّني عن علم ما في غد عم

وأيضًا:

أمن تذكّر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلّة بدم

وأيضًا:

لست بمستبق أخا لا تلمّه على شعث، أيّ الرّجال المهذّب

وأيضًا:

من يلق يوما على علّاته هرما يلق السّماحة منه والنّدى خلقا

وأيضًا:

إن الثمانين – وبلّغتها – قد أحوجت سمعي الى ترجمان

وأيضًا:

إذا ما غضبنا غضبة مضريّةهتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

وأيضًا:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أنّ المنتأى عنك واسع

وأيضًا:

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

****

الفصل الثـانى

القـــصر

القــصر

١ . تعريفه:

عرّفه الجرجاني بقوله: «القصر في اللغة: الحبس، يقال: قصرت اللقحة على فرسي، إذا جعلت لبنها له لا لغيره، وفي الاصطلاح: تخصيص شيء بشيء وحصره فيه»، وعرّفه معجم المصطلحات العربية بقوله: «هو، في علم المعاني العربي، تخصيص صفة بموصوف أو موصوف بصفة بطريقة معينة» ويسمّى الشيء الأول مقصورا، والشيء الثاني مقصورا عليه، وهما والاثنان: طرفا القصر.

٢ . نوعاه:

ينقسم القصر باعتبار الحقيقة والواقع إلى نوعين، هما:

١ . القصر الحقيق:

وهو كما عرّفه الجرجاني: «تخصيص الشيء بالشيء بحسب الحقيقة، وفي نفس الأمر بأن لا يتجاوزه إلى غيره أصلا»، ويكون القصر الحقيقي إمّا:

أ. **تحقيقيا:** ومثاله: إنّما الأرض كرة.

ب. **ادعائيا:** ومثاله: لا إمام سوى العقل.

٢ . القصر الإضافي:

وهو كما عرّفه الجرجاني: «الإضافة الى شيء آخر بأن لا يتجاوزه إلى ذلك الشيء، وإن أمكن ان يتجاوزه الى شيء آخر في الجملة»، ويرى البلاغيون أن الاختصاص فيه نسبي نحو: ما كاتب إلّا عبد الحميد، فإنك تقصد قصر الكتابة عليه بالنسبة إلى شخص آخر غيره كابن المقفّع مثلا، وليس قصدك أنه لا يعرف كاتب سواه، لأنّ الواقع يكذب هذا ويشهد ببطلانه، والقصر الإضافي قسمان هما:

أ. قصر إفراد:

وهو تخصيص شيء بشيء، وفيه اعتقاد المخاطب الشركة، فنقطع بالقصر معنى الاشتراك، نحو: ما شوقي إلّا شاعر، ردا على من اعتقد انه شاعر وكاتب معا.

ب. قصر قلب:

وهو تخصيص شيء مكان شيء إذا اعتقد المخاطب العكس وقلب عليه حكمه، نحو: ما سافر إلّا عمر، ردا على من اعتقد أن المسافر أحمد لا عمر، فيعكس عليه حكمه ويقلب له، وقد أضيف إليهما قسم ثالث هو:

ج. قصر تعيين:

إذا كان المخاطب متردّدا في الحكم، نحو: الأرض متحركة لا ثابتة، ردّا على من شكّ وتردّد في الحكم.

٣ . تقسيم القصر باعتبار طرفيه:

يقسم كل من القصر الحقيقي والإضافي، باعتبار طرفيهما، الى قسمين:

أ. قصر صفة على موصوف:

وهو أن تحبس الصفة على موصوفها، وتختص به، فلا يتّصف بها غيره، وإن كان يحتمل أن يكون لهذا الموصوف صفات أخرى غيرها، ومثاله:

. لا رازق إلّا الله (حقيقي).

. لا خطيب إلّا أنت (إضافي).

ب. قصر موصوف على صفة:

وهو أن يحبس الموصوف على الصفة، ويختص بها دون غيرها، وإن كان من المحتمل أن يشاركه غيره فيها. ومثاله:

. ما الله إلّا خالق كل شيء (حقيقي).

. ما محمد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل (إضافي).

* يعرف نوع القصر، أهو قصر صفة على موصوف أم موصوف على صفة، بما في العبارة من تقديم وتأخير، فإن كان المقدّم صفة فهو قصر صفة على موصوف، وإن كان موصوفا فهو قصر موصوف على صفة. فكل مقدّم مقصور، وكل مؤخر مقصور عليه.

٤ . طرق القصر:

عرفت العرب طرقا كثيرة للقصر أشهرها الطرق الاصطلاحية الآتية:

أ. النفي مع الاستثناء:

ويكون المقصور عليه ما بعد أداة الاستثناء نحو:

. لا يفوز إلّا المجد.

. (إِنْ هذا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ).

. لم يبق سواك نلوذ به.

ويشترط في القصر ب (لا) أن يكون بعد الإثبات، والمقصور عليه فيها هو المذكور قبلها، المقابل لما بعدها.

ب. القصر ب (إنّما):

ويكون المقصور عليه مؤخرا وجوبا، نحو: إنّما الأمم الأخلاق...والمقصور ب (إنّما) هو المذكور بعدها، وفي تقديم ما حقّه التأخير هو اللفظ المتقدّم.

ج. العطف ب (لا) أو (بل) أو (لكن):

إذا كان العطف ب (لا) كان المقصور عليه مقابلا لما بعدها، نحو: الأرض متحركة لا ثابتة، وإذا كان العطف ب (بل) أو (لكن) كان المقصور عليه ما بعدها نحو: ما الأرض ثابتة بل متحركة، ما الأرض ثابتة لكن متحركة.

د. تقديم ما حقّه التأخير:

ويكون المقصور عليه هنا هو المقدّم، نحو: على الرجال العاملين نثني، ومثل هذا القصر لا يعرف إلّا بالذوق السليم.

****

تمارين:

١ . بيّن في ما يأتي نوع القصر، وعيّن كلّا من المقصور والمقصور عليه:

-قال تعالى: **(اللهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)** البقرة : ٢٥٥. وقال (إِنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ) محمد: ٣٦. وقال **(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)** الفاتحة: ٥. وقال تعالى **(إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ)** فاطر:

٢٨. وقال تعالى **(وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ)** آل عمران: ١٤٤.

-وقال لبيد (الطويل):

وما المرء إلّا كالهلال وضوئه يوافي تمام الشهر ثم يغيب.

وقال ابن الرومي:

أمواله في رقاب الناس من منن لا في الخزائن من عين ومن نشب

إلى الله أشكو لا إلى الناس انّني أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

. إنما يدافع عن أحسابكم عليّ.

٢ . بيّن نوع القصر، وطريقه، وعيّن كلا من المقصور والمقصور عليه في ما يأتي:

قال الشاعر:

. ما الدهر عندك إلّا روضة أنف يا من شمائله في دهره زهر

وأيضاً:

. ليس عار بأن يقال فقير إنما العار أن يقال بخيل

وأيضًا:

. يتغابى لهم وليس لموق بل للبّ يفوق لبّ اللبيب

وأيضًا:

. يهتز عطفاه عند الحمد يسمعه من هزّة المجد لا من هزّة الطّرب

وأيضًا:

. وما قلت إلّا الحقّ فيك ولم تزل على منهج من سنّة المجد لا حب

وأيضًا:

. وما العيش إلّا مدّة سوف تنقضي وما المال إلّا هالك وابن هالك

الفصل الثالث
الوصل والفصل

الوصل والفصل

١ . تعريفهما:

الوصل: عطف جملة على أخرى بالواو.

الفصل: ترك هذا العطف.

٢ . بلاغة الوصل:

لا تتحقّق إلّا بالواو العاطفة فقط، لأنّ (الواو) هي الأداة التي تخفى الحاجة إليها، ويحتاج العطف بها إلى لطف في الفهم، ودقّة في الإدراك، إذ لا تفيد إلّا مجرّد الرّبط، وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم، نحو: مضى وقت الكسل، وجاء زمن العمل، وقم واسع في الخير، أما العطف ب (الفاء) فيفيد مع التشريك الترتيب والتعاقب، وب (ثم) يفيد الترتيب مع التّراخي. فلا يقع اشتباه في استعماله.

٣ . مواضع الوصل:

يجب الوصل بين الجملتين في ثلاثة مواضع:

١ . إذا اتّحدت الجملتان في الخبرية أو الإنشائية لفظا ومعنى أو معنى فقط:

١ . اتحادهما في الخبرية ومثاله: **(إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ* وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ)** الانفطار: ١٣ . ١٤، اتفاق الجملتين في الخبرية لفظا ومعنى.

٢ . اتحادهما في الإنشائية ومثاله: **(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا)** الأعراف: اتحادهما في الانشائية لفظا ومعنى.

٣ . إنشائية معنى، خبرية في اللفظ، ومثاله **(وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً)** البقرة: ٨٣، فجملة (لا تَعْبُدُونَ) إنشائية معنى لأنها بمعنى لا تعبدوا، وأخذ الميثاق يقتضي الأمر والنهي، فإذا وقع بعده خبر أوّل بالأمر أو النهي، وقد عطفت عليها جملة (وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً) وهي إنشائية لفظا ومعنى؛ لأنها على تقدير (واحسنوا بالوالدين إحسانا) فالجملتان اتفقتا في الإنشائية معنى وإن اختلفتا في اللفظ، لذا عطفت الثانية على الأولى، لوجود الجامع ولا مانع من العطف.

٤ . خبرية معنى، إنشائية لفظا **(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ* وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ)** الشرح: ١ . ٢.

فالجملة الثانية خبرية في اللفظ والمعنى، وقد عطفت على جملة (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) وهي وإن كانت مصّدرة باستفهام فهي في معنى الخبر لأن المعنى (شرحنا لك صدرك). فتكون الاولى إنشائية لفظا خبرية معنى وبذلك اتفقت مع الثانية فصحّ العطف بينهما لوجود الجامع، ولا مانع من العطف.

٢ . إذا اختلفتا خبرا وإنشاء ، وأوهم الفصل خلاف المقصود:

ومثاله: لا، وبارك الله فيك، جوابا لمن سألك: هل لك حاجة أساعدك في قضائها.

. لا، ويرحمك الله، جوابا لمن سألك: هل شفيت من مرضك.

ف (لا) في الجملة الأولى قائمة مقام جملة خبرية تقديرها (لا حاجة لي) وكذلك القول في الجملة الثانية. والجملتان: بارك الله فيك، ويرحمك الله، جملتان خبريتان لفظا إنشائيتان معنى والعبرة بالمعنى، ويجب التأكيد على وجود الواو في صدر الجملة الثانية لأن تركها يوهم السامع بالدعاء عليه، وهو خلاف المقصود، لأن الغرض الدعاء له، ولهذا وجب الوصل، وعطف الجملة الثانية الدعائية الإنشائية على الأولى الخبرية المقدّرة بلفظ (لا) لدفع الإيهام، وكلا الجملتين لا محل لها من الأعراب.

٣ . إذا قصد إشراكهما في الحكم الاعرابي:

إذا كان للجملة الأولى محلّ من الإعراب، وقصد تشريك الجملة الثانية لها في الإعراب حيث لا مانع، ومثاله، قول أبي العلاء (الوافر):

وحبّ العيش أعبد كلّ حر وعلّم ساغبا أكل المرار.

فالجملة الولى (أعبد كلّ حر) في محل رفع خبر للمبتدأ (حبّ)، وأراد الشاعر إشراك الثانية لها في الحكم الإعرابي، فعطفها عليها بالواو، والجملتان خبريتان فعلّيتان فعلهما ماض، وقول المتنبي (الطويل):

وللسرّ منيّ موضع لا يناله نديم ، ولا يفضى إليه شراب

فالجملة الأولى (لا يناله نديم) في محل رفع صفة ل (موضع)، وأراد اشراك الجملة الثانية لها في هذا الحكم فعطفها عليها بالواو، والجملتان متّحدتان خبرا، متناسبتان معنى فلا داعي للفصل بينهما، وقال بشّار (الطويل):

وأدن الى القربى المقرّب نفسه ولا تشهد الشورى امرأ غير كاتم

فالجملتان هنا متّحدتان إنشاء، ومتناسبتان في المعنى لذلك عطفت الثانية على الأولى.

* الأحسن أن تتفق الجملتان في الاسمية والفعلية، والفعليتان في الماضوية والمضارعية، أي أن تعطف الاسمية على مثلها، وكل من الماضوية والمضارعية على مثلها.

تمارين:

١ . بيّن مواضع الوصل في ما يأتي، واذكر السبب:

-قال تعالى: **(وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً)** الاسراء : ٢٩.

-وقال تعالى: **(وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَجَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ وَزِيراً)** الفرقان: ٣٥

-وقال تعالى: **(قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ* فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ* وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ)** الحج: ٤٩ . ٥١.

-وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السينة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

-وقال أبو بكر (ر): «أيها الناس، إنّي ولّيت عليكم ولست بخيركم».

-وقال الامام علي (ر): «دع الإسراف مقتصدا، واذكر في اليوم غدا، وأمسك من المال بقدر ضرورتك، وقدّم الفضل ليوم حاجتك».

****

٤ . مواضع الفصل:

إذا ترادفت الجمل، ووقع بعضها إثر بعض ربطت بالواو العاطفة لتكون على نسق واحد، ولكن قد يعرض لها ما يوجب ترك الواو فيها إمّا لأن الجملتين متحدّتان صورة ومعنى، وإمّا لأنّهما بمنزلة المتحدتين، وإمّا لأنه لا صلة بينهما في الصورة أو في المعنى، ويقع الفصل في خمسة مواضع هي:

١ . " كمال الاتصال".

وهو اتحاد الجملتين اتحادا تاما، بحيث تكون الجملة الثانية: توكيدا للأولى، أو لا بد منها، أو بيانا لها، ومثاله: قال تعالى: **(فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً)** الطارق: ١٧، فالجملة الثانية **(أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً)** توافق الجملة الأولى التي سبقتها لفظا ومعنى، وهي توكيد لفظي للأولى، وبذلك صارت الصلة قوية بينهما بحيث لا تحتاجان إلى رابط، لأنّ التوكيد من المؤكد كالشيء الواحد، لذا ترك العطف لعدم صحّة عطف الشيء على نفسه.

وقال تعالى: **(وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ* أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَبَنِينَ)** الشعراء ١٣٢ . ١٣٣، فالآية الثانية بمنزلة بدل البعض، لأنّ ما يعلّمونه يشمل ما في الجملة الثانية من النعم الأربع وغيرها من سائر النعم، ولم يعطف بين الجملتين بالواو لقوّة الربط بينهما.

وقال تعالى: **(بَلْ قالُوا مِثْلَ ما قالَ الْأَوَّلُونَ* قالُوا أَإِذا مِتْنا وَكُنَّا تُراباً وَعِظاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ)** المؤمنون: ٨١ . ٨٢، فالآية الثانية شارحة وموضّحة، وأوفى بتأدية المعنى من الأولى، فهي واقعة موقع بدل الكل من الأولى، ولذا ترك العطف لقوّة الربط بين الجملتين.

وقال تعالى: **(وَجاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعى قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ* اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ)** يس: ٢٠ . ٢١. فالآية الثانية بدل اشتمال من الأولى، لأنّ المراد من الأولى حمل المخاطبين على اتباع الرسل، والثانية أوفى لأن معناها: لا تخسرو شيئا من دنياكم وتربحو صحّة دينكم، فيكون لكم جزاء الدنيا والآخرة، فترك العطف بين الجملتين لقوّة الربط بينهما.

وقال تعالى: **(وَإِذْ نَجَّيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ)** البقرة : ٤٩. فصلت جملة **(يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ)** عن (يَسُومُونَكُمْ) لأن الثانية موضّحة للأولى فكانت بمنزلة عطف البيان، لذلك ترك العطف لقوّة الربط بينهما، لأن عطف البيان لا يعطف على متبوعه.

٢ . كمال الانقطاع.

وهو أن يكون بين الجملتين تباين تام. وأوضح ما يكون ذلك إذا تقاطعتا:

١ . خبرا وإنشاء:

نحو: **(وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)** الحجرات: ٩. فصلت الجملة الثانية عن الأولى لأن الأولى (وَأَقْسِطُوا) إنشائية لفظا ومعنى، والثانية: (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) خبرية لفظا ومعنى، فبينهما تباين تام وانقطاع كامل ممّا يستوجب الفصل بينهما.

٢ . واختلافهما معنى:

نحو: نجح خالد وفّقه الله. فالثانية إنشائية لفظا خبرية معنى.

٣ . ألّا يكون بين الجملتين مناسبة في المعنى ولا ارتباط:

ومثاله:

إنّما المرء بأصغريه كل امرئ رهن بما لديه

فلا مناسبة بين الجملة الثانية والأولى لأنّ كلّا منهما مستقلة بنفسها.

٣ . شبه كمال الاتصال:

وهو أن تكون الجملة الثانية شديدة الارتباط بالأولى، حتّى لكأنّها جواب عن سؤال نشأ من الأولى، ويكون السؤال عن سبب عام كما في قوله (الخفيف):

قال لي: كيف أنت؟ قلت: عليل سهر دائم وحزن طويل

ويكون السؤال عن سبب خاص كقوله تعالى: **(وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ)** يوسف: ٥٣، فقد فصلت الجملة الثانية عن الأولى لأنّها واقعة في جواب سؤال مقدّر، وكأنه قيل: هل النفس أمّارة بالسّوء؟ فقيل: إن النفس لأمّارة بالسوء، وقد يفهم السؤال من السياق كقوله (الكامل):

زعم العواذل أنّني في غمرة صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي.

كأنه سئل: أصدقوا في زعمهم أم كذبوا؟ فأجاب: صدقوا.

٤ . شبه كمال الانقطاع:

وهو أن تسبق جملة بجملتين يصحّ عطفها على الأولى لوجود المناسبة، ولكن في عطفها على الثانية فساد في المعنى فيترك العطف بالمرّة، دفعا لتوهّم أنه معطوف على الثانية، نحو:

وتظنّ سلمى أنّني أبغي بها بدلا أراها في الضلال تهيم

فجملة (أراها) يصح عطفها على جملة (تظن) لكن يمنع من ذلك توهم العطف على جملة (أبغي بها) فتكون الثالثة من مظنونات سلمى، مع أنّه غير المقصود ولهذا امتنع العطف.

٥ . التوسّط بين الكمالين:

وهو أن تكون الجملتان متناسبتين وبينهما رابطة قوية لكن يمنع من العطف مانع هو عدم قصد التشريك في الحكم كقوله تعالى: **(وَإِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ* اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ..)** البقرة: ١٤، لقد فصلت جملة (اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) عن جملة (إِنَّا مَعَكُمْ) مع التناسب ووجود الجامع بينهما المصحح للعطف لوجود المانع، وهو أنّه لم يقصد تشريك جملة (اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) لجملة (إِنَّا مَعَكُمْ) في الحكم الإعرابي، وهو أنها مفعول القول، فيقتضي ذلك أن جملة: الله يستهزئ بهم تكون من مقول المنافقين، وهي ليست كذلك بل هي من كلام الله سبحانه ولذلك فصل بينهما.

****

تمارين:

١ . بيّن مواضع الفصل في ما يأتي واذكر السبب:

قال الشاعر:

١ . وما الدهر إلّا من رواة قصائدي إذا قلت شعرا أصبح الدّهر منشدا

وأيضًا:

٢ . الناس للناس من بدو وحاضرةبعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

وأيضًا:

٣ . يا صاحب الدنيا المحبّ لها أنت الذي لا ينقضي تعبه

وأيضًا:

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا إنّ السّماء ترجّى حين تحتجب

وأيضًا:

٥ . إن نيوب الزّمان تعرفني أنا الذي طال عجمها عودي

٢ . بيّن مواضع الوصل والفصل في ما يأتي واذكر السبب:

قال الشاعر:

١ . ألا من يشتري سهرا بنوم؟ سعيد من يبيت قرير عين

وأيضًا:

٢ . اخط مع الدهر إذا ما خطا واجر مع الدهر كما يجري

وأيضًا:

٣ . لا تدعه إن كنت تنصف نائبا هو في الحقيقة نائم لا نائب

وأيضًا:

٤ . وقد كان يروي المشرفيّ بكفّه ويبلغ أقصى حجرة الحيّ نائله

وأيضًا:

٥ . وتظن سلمى أنني ابغي بها بدلا ، أراها في الظّلام تهيم

وأيضًا:

٦ . الفقر فيما جاوز الكفافا من اتقى الله رجا وخافا

****

الفصل الرابع
الخبر والإنشاء

أولا: الخبر

١ . ١. تعريفه:

عرّفه معجم المصطلحات العربية بقوله: «هو الذي يحتمل الصدّق إن كان مطابقا للواقع، أو لاعتقاد المخبر عند البعض، والكذب إن كان غير مطابق للواقع، أو لاعتقاد المخبر، في رأي، وذلك كقول أبي الطيّب (البسيط):

لا أشرئبّ الى ما لم يفت طمعا ولا أبيت على ما فات حسرانا»

ورأى الجاحظ أنّ الخبر ثلاثة أقسام:

١. خبر صادق.

٢. خبر كاذب.

٣. خبر لا هو بالصادق ولا بالكاذب.

وقد تأثر بهذه القسمة لاعتناقه مذهب المعتزلة الذين ذهب زعيمهم النّظّام إلى أن مناط الحكم على الخبر بالصدق أو الكذب هو اعتقاد المتكلّم، لا الواقع.

١ . ٢. الغرض من إلقاء الخبر:

الأصل في الخبر أن يلقى لأحد غرضين:

أ. إفادة المخاطب الحكم الذي تضمّنته الجملة، إذا كان جاهلا له، ويسمّى هذا النوع فائدة الخبر، ومثاله: وليّ الخليفة الصالح، عمر

بن عبدالعزيز، الخلافة سنة ٩٩ هـ، وتوفي سنة ١٠١ هـ، وكان لا يأخذ من بيت المال شيئا، ولا يجري على نفسه من الفيء درهما، ومن هذا الباب الحقائق العلمية التي تلقى على مسامع المتعلّمين وهم لا يعرفونها.

ب. إفادة المخاطب ان المتكلم عالم بالحكم أيضا، ويسمّى لازم الفائدة، ومثاله: أنت نجحت في الامتحان، أو: لقد وصلت الجامعة متأخرا، فالسامع لم يستفد علما بالخبر نفسه، وإنّما استفاد أن المتكلّم عالم به، وسمّي لازم الفائدة؛ لأنه يلزم في كل خبر أن يكون المخبر به عنده علم أو ظنّ به.

١ . ٣. أغراض أخرى تفهم من السيّاق.

قد يخرج الخبر عن الغرضين السابقين إلى أغراض أخرى تستفاد من سياق الكلام، وتهدي إليها القرائن، وأهمّها:

أ. الاسترحام والاستعطاف.

ومثالهما: إنّي فقير إلى عفو ربّي، فليس الغرض هنا إفادة الحكم، ولا لازم الفائدة، لأن الله تعالى عليم، ولكنّه طلب عفو ربّه، وقول يحيى البرمكي مخاطبا هارون الرّشيد (مجزوء الكامل):

إن البرامـــكة الذي ن رموا لديك بداهية

صفر الوجوه عليهم خلع المذلّة بـــادية

فالشاعر هنا لا يخبر الرشيد بما وصل إليه قومه من ذلّ، لأن الرشيد هو الذي أمر، ولا يريد أن يفيده أنّه عالم بما حلّ به وبقومه، إنّما أراد استعطافه راجيا الشفقة والرّحمة.

ب. الحثّ على السعي والجد.

فكأن الخبر يرمي إلى تحريك الهمّة والحضّ على ما يجب تحصيله، نحو: ليس سواء عالم وجهول، فالكلام يوحي بالحثّ على العلم وطلب المعرفة، لا الإخبار بما بين العلم والجهل من فوارق، ومثاله قول طاهر بن الحسين للعبّاس بن موسى الهادي وقد استبطأه في خراج ناحيته (الطويل):

وليس أخو الحاجات من بات نائما ولكن أخوها من يبيت على وجل

فطاهر بن الحسين لا يريد إخبار العبّاس، بل يحثّه على الجدّ في جباية الخراج.

ج. إظهار الضعف والخشوع.

ومنه قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام (رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) مريم: ٤، فسيّدنا زكريا عليهالسلام يرمي إلى إظهار ضعفه ونفاد قوّته قبل كل شيء آخر.

د. إظهار التحسّر.

ومثاله قوله تعالى: **(رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى وَاللهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ)** آل عمران: ٣٦، فالآية تنفي الإخبار، لأنّ الله تعالى يعلم ما وضعت، ولكنّ الغرض إظهار التحسّر على شيء محبوب، فقد كانت تحبّ أن تضع ذكرا، فلما وضعت انثى أبدت حسرتها، ومثاله أيضا قول اعرابي في رثاء ولده (الكامل):

لمّا دعوت الصبر بعدك والأسى أجاب الأسى طوعا ولم يجب الصّبر
فإن ينقطع منك الرجـــــاء فإنّه سيبقى عليك الحزن ما بقي الدّهر

فالأعرابيّ لا يريد الإخبار، إنّما أراد إظهار الحسرة والحزن على فقد ولده.

هـ. الفخر.

ومثاله قول عمرو بن كلثوم (الوافر):

إذا بلغ الفطام لنا صبيّ تخرّ له الجبابر ساجدينا

فعمرو بن كلثوم لا يهدف إلى الإخبار، بل كان هدفه الفخر بقومه، والمباهاة بما لهم من بأس وقوّة، ومنه الحديث المنسوب إلى الرسول (ص): «إنّ الله اصطفاني من قريش».

و. إظهار الفرح بمقبل والشّماتة بمدبر.

ومثاله قوله تعالى: **(جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً)** الإسراء: ٨١.

ز. التوبيخ.

ومنه قولك للكسول الخمول المتردّد في النهوض من فراشه: الشمس طالعة.

ح. التحذير.

ومنه قولك لمصمّم على الطلاق: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق».

ط. المدح.

كقول النابغة الذبياني (الطويل):

فإنّك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهنّ كوكب.

* وقد يأتي لأغراض أخرى، والمرجع في معرفة ذلك الذوق والعقل السليم، كالهجاء في قول جرير (الطويل):

لقد ولدت أمّ الفرزدق فاجرا وجاءت بوزواز قصير القوائم.

تمارين:

١ . بيّن أغراض الخبر في ما يأتي:

لقد أدّبت بنيك باللّين والرّفق، لا بالقسوة والعقاب، كان معاوية حسن التدبير، يحلم في مواضع الحلم، ويشتدّ في مواضع الشدّة، توفيّ عمر بن الخطّاب سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وقال أبو فراس (الكامل):

ومكارمي عدد النجوم ومنزلي ماوى الكرام ومنزل الأضياف.

٢. وقال أبو الطيب (الطويل :

وما كل هاو للجميل بفاعل ولا كلّ فعّال له بمتمّم.

٣. وقوله أيضا يرثي أخت سيف الدولة (البسيط):

غدرت يا موت كم أفنيت من عدد بمن أصبت وكم أسكتّ من لجب

٤. وقال أبو العتاهية يرثي ولده عليّا (الوافر):

بكيتك يا عليّ بدمع عيني فما أغنى البكاء عليك شيّا

وكانت في حياتك لي عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيّا

****

ثانيا: **أضرب الخبر**.

تختلف صور الخبر في أساليب اللغة باختلاف أحوال المخاطب الذي يعتريه ثلاث حالات هي:

أ. أن يكون المخاطب خالي الذهن من الخبر، غير متردّد فيه، ولا منكر له، وفي هذه الحالة يلقى إليه الخبر خاليا من أدوات التوكيد، لعدم الحاجة إليه، ويسمّى هذا الضرب من الخبر ابتدائيا، ويلجأ إليه حين يكون المخاطب خالي الذهن من مدلول الخبر فيتمكن فيه لمصادفته إيّاه خاليا، تحقيقا لقول الشاعر (الطويل):

عرفت هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكّنا

ومثاله ما ورد في كتاب معاوية لأحد عمّاله: «لا ينبغي لنا ان نسوس النّاس سياسة واحدة، لا نلين جميعا فيمرح الناس في المعصية، ولا نشتدّ جميعا فنحمل الناس على المهالك، ولكن تكون أنت للشدّة والغلظة، وأكون أنا للرأفة والرحمة»، والخبر في هذه الجمل خال من التوكيد لأن المخاطب خالي الذهن من مضمون الخبر ولذلك لم ير المتكلم حاجة الى توكيد الحكم له.

ب. أن يكون المخاطب متردّدا في الخبر، طالبا الوصول الى اليقين في معرفته، وفي هذه الحالة يستحسن توكيد الكلام ليتمكّن من نفس المخاطب، ويطرح الخلاف والتردّد وراء ظهره، ويسمّى هذا الضرب من الخبر طلبيّا ويتضمّن وسيلة توكيد واحدة، مثاله قوله تعالى (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) النحل: ٩٠، أكّد الخبر بأداة واحدة هي (إنّ)، وكقول أحدهم: إنّه قد نجح المجتهدون، فالمخاطب يشك بصحة الخبر لذلك ألقي إليه الخبر مؤكّدا ب (إنّ) وب (قد).

ج. أن يكون المخاطب منكرا للخبر، معتقدا خلافه، في هذه الحال يجب أن يؤكّد الخبر بمؤكّد أو أكثر على حسب إنكاره قوّة وضعفا، ويسمّى هذا الضرب إنكاريا ويتضمّن اكثر من وسيلة توكيد واحدة، ومثاله قول أبي العبّاس السفّاح: «لأعملنّ اللّين حتّى لا ينفع إلّا الشدّة، ولأكرمنّ الخاصّة ما أمنتهم على العامّة، ولأغمدنّ سيفي حتّى يسلّه الحق، ولأعطينّ حتّى لا أرى للعطيّة موضعا»، فالمخاطبون منكرون للحكم، رافضون القبول به، لذلك لجأ أبو العبّاس الى استخدام وسائل التقوية والتوكيد ليدفع الشك عن نفوس المخاطبين، ويدعوهم الى التسليم، لقد لجأ الى لام القسم ونون التوكيد الثقيلة والنّفي بعده حصر ب (إلّا)، ومثاله أيضا قولنا: إن أخاك لقادم. فالتأكيد ب (إنّ واللام)، وإذا شعرنا أن إنكاره أقوى يمكن التأكيد بثلاث أدوات فنقول:

والله إنّه لقادم (القسم+ إنّ+ اللام)، وكما يكون التأكيد في الإثبات، يكون في النفي أيضا، نحو:

ما الكريم بنادم على بذله والله ما المستشير بنادم.

* لتوكيد الخبر ألفاظ عديدة أهمّها:

إنّ، أنّ، لام الابتداء، أحرف التنبيه والقسم، ونونا التوكيد، والحروف الزائدة (تفعّل واستفعل) والتكرار، قد، أمّا الشرطية إنّما، اسمية الجملة، ضمير الفصل ...

ولتوكيد الخبر ألفاظ عديدة هي:

أ. الحروف: إنّ، أنّ، قد، لام التوكيد، إنّما، أمّا، ف.

ب. أفعال ترد في تركيب الإنشاء ولكنها تؤكد مضمونا خبريا: أكّد، أقسم، حلف...

ج. تراكيب إنشائية من قبيل القسم مثل: والله، لعمري ...

****

تمارين:

١. بيّن اضرب الخبر في ما يأتي، وعيّن أداة التوكيد، وجاء في نهج البلاغة: «الدّهر يخلق الأبدان، ويجدّد الآمال، ويقرّب المنيّة، ويباعد الأمنيّة، من ظفر به نصب، ومن فاته تعب».

قال يزيد بن معاوية بعد وفاة أبيه: «إنّ أمير المؤمنين كان حبلا من حبال الله مدّه ما شاء أن يمدّه، ثم قطعه حين أراد أن يقطعه، وكان دون من قبله، وخيرا ممّن يأتي بعده، ولا أزكّيه عند ربّه وقد صار إليه، فإن يعف عنه فبرحمته، وإن يعاقبه فبذنبه، وقد وليت بعده الأمر ولست أعتذر من جهل، ولا آسى على طلب علم، وعلى رسلكم، إذا كره الله شيئا غيّره، وإذا أحبّ شيئا يسّره».

وقال أحدهم مخاطبا صديقه: لقد أدّبت بنيك باللين والرفق، لا بالقسوة والعقاب.

٢. بيّن الجمل الخبرية في ما يأتي، وعيّن أضربها، واذكر ما اشتملت عليه من وسائل التوكيد.

إنّ الحياة لثوب سوف نخلعه وكلّ ثوب إذا ما رثّ ينخلع

٢.

وعاد في طلب المتروك تاركه إنّا لنغفل والأيّام في الطّلب

ثالثا: خروج الخبر عن مقتضى الظاهر

عرفنا سابقا أن الخبر إذا ألقي خاليا من التوكيد لخالي الذهن، ومؤكّدا استحسانا للسائل المتردّد، ومؤكدا وجوبا للمنكر، كان ذلك الخبر جاريا على مقتضى الظاهر، لكنّ الخبر قد يجري على خلاف ما يقتضيه الظاهر لاعتبارات يلحظها المتكلم، من ذلك:

أ. أنّ ينزّل خالي الذهن منزلة السائل المتردّد

إذا تقدّم في الكلام ما يشير الى حكم الخبر، ومثاله قوله تعالى: (.. وَلا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ) هود: ٣٧، تخاطب الآية نوحا عليهالسلام، ونوح خالي الذهن من الحكم الخاص بالظالمين، وكان مقتضى الظاهر أن يلقى إليه الخبر غير مؤكد، والآية جاءت بالتوكيد، وذلك لأن الله تعالى عندما نهى نوحا عن مخاطبته في شأن مخالفيه دفعه ذلك الى التطلع إلى ما سيصيبهم، فنزل لذلك منزلة السائل المتردّد، فأجيب بقوله: إنّهم مغرقون.

ب. أن يجعل غير المنكر كالمنكر لظهور أمارات الإنكار عليه

ومثاله قوله تعالى: **(ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلِكَ لَمَيِّتُونَ)** المؤمنون: ١٥، المخاطبون في هذه الآية لا ينكرون الحكم الذي تضمنّته، ولكن ظهور أمارات الإنكار عليهم نزّلهم منزلة المنكرين، فألقي إليهم الخبر مؤكدا بمؤكدين، ومثاله قول حجل بن فضلة القيسي (الخفيف):

جاء شقيق عارضا رمحه إنّ بني عمّك فيهم رماح

لقد جاء شقيق راكبا على فرسه عارضا رمحه استخفافا بمن يقابلهم من بني عمّه حتى لكأنه يعتقد أنّهم عزل لا سلاح عندهم. لذلك أنزل منزلة المنكرين فأكّد الخبر وخوطب خطاب المنكر.

ج. أن يجعل المنكر كغير المنكر

إن كان لديه دلائل وشواهد لو تأمّلها لارتدع عن إنكاره، ومثاله قوله تعالى: **(وَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ)** البقرة: ١٦٣، الآية تخاطب منكري وحدانية الخالق سبحانه، وألقت إليهم الخبر بلا توكيد، لأن المنكرين عندهم من الأدلة والبراهين ما لو تأمّلوها لوجدوها مقنعة الإقناع كلّه، ولذلك لم يقم الله تعالى لإنكارهم وزنا، ومثاله قولك لمن يؤذي أباه: هذا أبوك، فالمخاطب ليس بحاجة إلى تأكيد الخبر، لكنّه لو تأمّل لارتدع عن إيذاء أبيه وكفّ عنه، لذلك ألقي إليه الخبر خاليا من التوكيد.

****

تمارين:

١. بيّن وجوه خروج الخبر عن مقتضى الظاهر في ما يأتي: قال تعالى: **(وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ)** يوسف: ٥٣.

. (يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) الحج: ١.

. تقول لمن يظلم الناس بغير حق: إنّ الله لمطّلع على أفعال العباد.

. تقول لمن ينكر وجود الخال : الله موجود.

. تقول لمن ينكر فائدة العل : العلم نافع.

. تقول لمن يكره العم : إن الفراغ لمفسدة.

. قال أبو الطيّب (الوافر):

ترفّق أيّها المولى عليهم فإنّ الرفق بالجاني عتاب.

****

الإنشاء وأقسامه

١ . ١. تعريفه.

جاء في معجم المصطلحات أن الإنشاء هو: «ما لا يصحّ أن يقال لقائله إنّه صادق فيه أو كاذب».

١ . ٢. قسما الإنشاء.

ينقسم الإنشاء إلى قسمين هما:

أ. إنشاء طلبي:

وهو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، ويكون خاصة في: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمنّي، والنداء.

* يضاف إليها: العرض، والتّحضيض، والدعاء، والالتماس.

ب. إنشاء غير طلبي.

هو ما لا يستدعي مطلوبا، وله صيغ كثيرة ومنها: المدح، والذمّ، وصيغ العقود، والقسم، والتعجّب، والرّجاء.

* يضاف إليها: ربّ، ولعلّ، وكم الخبرية.

وسنبدأ بتفصيل كل بحث من أبحاث الإنشاء الطلبي وغير الطّلبي.

أولا: الإنشاء الطلبي

١ ـ الأمر.

١ . ١. تعريف:

هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء، ويكون ممّن هو أعلى إلى من هو أقلّ منه.

١ . ٢. صيغه الأصلية:

للأمر أربع صيغ أصلية هي:

أ. الأمر بالفعل:

أي بفعل الأمر، نحو: أكرم أباك وأمّك، ولا تستعمل إلا مع المخاطب فيكون الأمر بها مباشرا من الآمر الى المأمور وهو حاضر أو في حيّز الحاضر في المقام نحو:

عش بالشعور وللشعور فإنما دنياك كون عواطف وشعور.

ب. الفعل المضارع المقرون ب (لام الأمر)

نحو: **(لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ)** الطلاق: ٧، وينشأ بها الأمر المباشر وكذلك غير المباشر (المأمور غائب ويبلغ الأمر بوساطة رسالة او رسول).

ج. اسم فعل الأمر.

نحو، **(عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)** المائدة: ١٠٥.

د. المصدر النائب عن فعل الأمر.

نحو: سعيا في سبيل الخير، أي: اسعوا ...

١ . ٣. صيغه غير الأصلية المستفادة من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

قد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي وهو الإيجاب والإلزام إلى معان أخرى منها:

أ. الدّعاء:

وهو طلب من الأدنى إلى الأعلى، نحو قوله تعالى: **(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ)** النمل: ١٩.

ب. الإلتماس:

وهو طلب نظير من نظيره، نحو قولك لصديقك: أعطني القلم.

ج. النّصح والإرشاد:

نحو قوله تعالى: **(إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالْعَدْلِ)** البقرة: ٢٨٢.

د. التهديد:

كقوله تعالى: **(اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)** فصلت: ٤٠. ويكون في مقام عدم الرّضا بالمأمور به.

هـ. التعجيز:

كقوله تعالى: **(فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ)** البقرة: ٢٣، ويكون في مقام إظهار عجز من يدّعي قدرته على فعل أمر ما، وليس في وسعه ذلك.

و. الإباحة:

كقوله تعالى: **(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)** البقرة : ١٨٧.

ز. التسوية:

كقوله تعالى: **(فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَواءٌ عَلَيْكُمْ)** الطور: ١٦.

ح. الإكرام:

كقوله تعالى: **(ادْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِينَ)** الحجر: ٤٦.

ط. الامتنان:

كقوله تعالى: **(فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالاً طَيِّباً وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ)** النحل: ١١٤.

ي: الإهانة:

كقوله تعالى: **(كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً)** الإسراء: ٥٠ وتكون في مقام عدم الاعتداد بالمخاطب وقلة المبالاة به.

ك. الدّوام:

كقوله تعالى: **(اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ)** الفاتحة: ٦.

ل. التمنّي: كقول امرئ القيس (الطويل):

ألا أيّها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل.

فالشاعر لا يأمر الليل وإنّما أرسل صيغة الأمر مريدا بها التمنّي.

م. التخيير: كقول البحتري (الطويل):

فمن شاء فليبخل ومن شاء فليجد كفاني نداكم من جميع المطالب

* والفرق بين التخيير والإباحة: أن التخيير لا يجوّز الجمع بين الشيئين، والإباحة تجوّزه ففي الإباحة إذن بالفعل وإذن بالترك.

****

تمارين:

١ . دلّ على صيغ الأمر وعيّن المراد من كل صيغة في ما يأتي:

قال الشاعر:

. أزل حسد الحسّاد عني بكبتهم فأنت الذي صيّرتهم لي حسّدا

أيضًا:

. عش عزيزا أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

أيضًا:

. أروني بخيلا طال عمرا ببخله وهاتوا كريما مات من كثرة البذل

أيضًا:

. شاور سواك إذا نابتك نائبة يوما وإن كنت من أهل المشورات

أيضًا:

. واخفض جناحك إن منحت إمارة وارغب بنفسك عن ردى اللذّات

أيضًا:

. فيا موت زر إن الحياة ذميمة ويا نفس جدّي إنّ دهرك هازل

٢ . دلّ على صيغ الأمر وعين المراد من كل صيغة في ما يأتي:

قال تعالى: **(خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ)** مريم: ١٢.

قال تعالى: **(إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا)** الرحمن: ٣٣.

قال تعالى: **(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ.)** الأعراف: ١٩٩

قال تعالى: **(قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ)** النمل: ٦٤.

قال تعالى: **(رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي* يَفْقَهُوا قَوْلِي* وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي)** طه: ٢٥ . ٢٩.

قال حكيم يوصي ابنه: "يا بنيّ، استعذ بالله من شرار الناس، وكن من خيارهم على حذر، يا بنيّ، زاحم العلماء بركبتيك، وأنصت إليهم بأذنيك، فان القلب يحيا بنور العلم كما تحيا الأرض الميتة بمطر السماء"

٢ ـ النهي

٢ . ١ : تعريفه.

هو طلب الكفّ عن الشيء على وجه الاستعلاء مع الإلزام، ويكون لمن هو أقلّ شأنا من المتكلم، وهو حقيقة في التحريم، فمتى وردت صيغة النهي أفادت الحظر والتحريم على الفور.

٢ . ٢: صيغته الأصلية.

للنهي صيغة واحدة هي المضارع المقرون ب (لا) الناهية، ومثاله قوله تعالى: **(وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً)** الحجرات.

٢ . ٣: صيغة غير الأصلية المستفادة من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

قد تخرج صيغة النهي عن معناها الأصلي الى معان أخرى منها:

أ. الدّعاء:

وهو النهي من الأدنى الى الأعلى نحو قوله تعالى: **(رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا رَبَّنا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا رَبَّنا وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ)** البقرة: ٢٨٦.

ب. الالتماس:

وهو نهي موجّه من نظير الى نظيره كقولك لصديقك: لا تتوان في طلب العلى، وكقوله تعالى على لسان هارون يخاطب أخاه موسى **(قالَ يَا بْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي)** طه: ٩٤.

ج. الإرشاد:

كقوله تعالى: **(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ)** المائدة: ١٠١، ويكون النهي في شكل نصح يتضمّن حكمة تنمّ عن تجربة : لا تكن يابسا فتكسر ولا تكن لينا فتعصر.

د. التهديد:

كقوله: لا تمتثل أمري، وكقوله لخادمه: لا تطع أمري.

هـ. التمنّي:

كقوله: يا ليلة الأنس لا تنقضي، وكقول الشاعر (مجزوء الرجز):

يا ليل طل يا نوم زل يا صبح قف لا تطلع.

و. التوبيخ:

كقول أبي الأسود (الكامل):

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم.

ز. التيئيس:

كقوله تعالى: **(لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ)** التوبة: ٦٦.

ح. التحقير:

ومثاله قول المتنبي (البسيط):

لا تشتر العبد إلّا والعصا معه إنّ العبيد لأنجاس مناكيد

ط. الكراهة:

كقولك: لا تلتفت وأنت في الصلاة.

ي. بيان العاقبة:

نحو قوله تعالى: **(وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)** آل عمران: ١٦٩.

تمارين:

١. دلّ على صيغة النهي، وبيّن المراد منها في ما يأتي:

–قال تعالى: **(وَلا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)** الأنعام: ١٥٢. –وقال تعالى: **(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ)** آل عمران –وقال تعالى: **(وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)** البقرة : ٤٢.

وقال الشاعر:

ولا تجلس إلى أهل الدنايا فإنّ خلائق السّفهاء تعدي

وأيضًا:

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وأيضًا:

أعينيّ جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر النّدى

****

٣ ـ الاستفهام.

٣ . ١. تعريفه:

هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل.

٣ . ٢. ألفاظ الاستفهام:

أ. حروف الاستفهام نوعان أشهرها: الهمزة وهل.

ب. أسماء الاستفهام: من، ما، أيّ، كيف، أين، أيّان، متى، أنّى وكم الاستفهامية.

٣ . ٣. أنواع الاستفهام:

يقسم الاستفهام بحسب الطلب ثلاثة أقسام هي:

أ. ما يطلب به التّصور تارة، والتّصديق طورا وهو: الهمزة.

١. **التصوّر وهو إدراك المفرد،** وفي هذه الحال تأتي الهمزة متلوّة بالمسؤول عنه، ويذكر له في الغالب معادل بعد (أم)، ومثاله: أعليّ مسافر أم سعيد؟ فأنت تعتقد أن السّفر حصل من أحدهما، ولكن تطلب تعيينه، لذلك يجاب عنه بالتعيين. سعيد مثلا أو عليّ، وحكم الهمزة التي لطلب التصوّر، أن يليها المسؤول عنه بها، سواء أكان، مسندا إليه نحو: أأنت فعلت هذا أم يوسف؟ أم مسندا نحو: أراغب أنت عن الأمر أم راغب فيه؟ أم مفعولا نحو: إيّاي تقصد أم سعيدا؟ أم حالا، نحو: أراكبا حضرت أم ماشيا؟ أم ظرفا، نحو: أيوم الخميس قدمت أم يوم الجمعة؟

ويذكر المسؤول عنه في التصوّر بعد الهمزة ، ويكون له معادل يذكر بعد (أم) غالبا، وقد يستغنى عن ذكر المعادل نحو: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم، وتسمّى معرفة المفرد تصورا.

٢. **التصديق:** وهو إدراك النسبة، بحيث يكون المتكلم خالي الذهن ممّا استفهم عنه في جملته مصدّقا للجواب، إثباتا ب (نعم)، أو نفيا ب (لا)، نحو: أيصدأ الذهب؟ أتتحرّك الأرض؟، فيجاب بنعم إن أريد الإثبات، وبلا إن أريد النفي.

ب. ما يطلب به التصديق فقط وهو (هل).

ويمتنع معها ذكر المعادل. ومثالها: هل يعقل الحيوان؟ هل يحسّ النبات؟ هل ينمو الجماد؟ فلا يقال: هل سعد قام أم سعيد؟ فهل تفيد أنّ السائل جاهل بالحكم لأنّها لطلبه، وأم المتّصلة تفيد أن السائل عالم به.

ج. ما يطلب به التصوّر فقط، ويكون ببقيّة ألفاظ الاستفهام.

وهي أسماء غائمة في دلالتها ذات عمل واحد هو التعويض، واذا وردت في الاستفهام كان المطلوب بها ما تعوّضه.

ويخرج الاستفهام عن معناه الأصلي (طلب معرفة شيء لا يعرف حقيقته) إلى معان أخرى يكشفها السّياق، وربّما كشفها التنغيم noitanotni أيضا، ومن هذه المعاني نذكر:

أ. الأمر

يرد الأمر في سياق غايته حمل المخاطب على القيام بفعل على وجه الاستعلاء، لأنّ السائل لا يطلب معرفة بل ينتظر إنجاز مضمون الاستفهام الذي يطرحه، وبهذا يكتسب الاستفهام قيمة الأمر الصّريح، والمقام هنا يفرض أن يكون المستفهم في موقع اجتماعي أو إداري أو سياسي عال قياسا الى موضع المخاطب، وأن يتوفر في ذاكرتيهما المشتركة جملة من الأحداث أو الرّغبات التي يمكن طلب تحقيقها من

طريق الاستفهام، مثال ذلك قول الرئيس لمرؤوسه المتقاعس: ألا تصرّف أعمال الناس؟ ألا تخاف العواقب؟ ومنه قوله تعالى: (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) المائدة: ٩١ أي انتهوا.

ب. النهي

هو كالأمر طلب لكنّه طلب سلبي والأمر طلب إيجابي، إذ الأمر يطلب إنجاز أمر، والنهي يطلب عدم إنجاز شيء ما، مثاله قوله تعالى: **(أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)** التوبة: ١٣، فكأن الآية تقول: لا تخشوهم واخشوا الله لأنه أحق منهم بخشيتكم إن كنتم مؤمنين به وبتعاليمه.

ج. النّفي

كقوله تعالى: **(هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ)** الرحمن: ٦٠. ظاهر التركيب استفهام لكنّ الآية ترمي الى النفي وكأن الآية تقصد الى القول: ما جزاء الإحسان إلّا الإحسان، وفيه يرمي المستفهم إلى النفي، واذا عوّض الاستفهام بنفي، استقام كلامه، وقد ينتج عن الاستفهام مجرّد النفي أو الاثبات كما في قولهم: هل ينفع الندم بعد فوات الأوان؟ والمعنى: لا ينفع النّدم بعد فوات الاوان لكنّ إجراء (هل) مكان (لا) زاد في توكيد النفي. ومنه قول الشاعر (الطويل):

هل الدّهر إلّا غمرة وانجلاؤها وشيكا وإلّا ضيقة وانفراجها؟

فالمعنى العام للبيت يسمح بإحلال حرف نفي عادي محلّ هل ويبقى المعنى نفسه كأن نقول: وما الدّهر إلّا غمرة ... وإلّا ضيقة وانفراجها.

د. الإنكار

من الاستفهام ما سمّي استفهاما إنكاريا إذ يخرج الاستفهام عن معنى الطّلب إلى معنى استنكار وقوع ما هو استفهام عنه في الظاهر، كأن يقول قائد لأحد جنوده المتقاعسين: أتخون وطنك؟ أتضحي بشرفك؟ ومنه قوله تعالى: **(أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ)** الصافات: ١٤٩ أو **(أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً)** الحجرات: ١٢، ومن لوازم الاستفهام الإنكاري هذا أن يكون المستفهم عنه غير واقع، أو أن يكون مدّعيه كاذبا.

هـ. الإثبات والتّقرير

هو استفهام يرمي الى حمل المخاطب على الإقرار بما يسأل عنه، ومن خصائصه أن يكون منفيّا يخرج فيه المعنى من الاستخبار الى الإقرار، وبهذا يكون أمكن من التقرير الخبري، وأبلغ من التوكيد، مثاله: **(أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ)** الأعراف: ١٧٢، لاحظ أن هذا الضرب من الاستفهام يكون غالبا بالهمزة يليها المقرّر به، كقول الأم لولدها: أضربت أخاك؟ إذا أرادت أن تقرّر أن الضرب كان منه، وكقولنا: أأنت فعلت هذا؟ إذا أردنا أن نقرّر أنّك الفاعل، لذلك كان الغرض من هذا الضرب من الاستفهام حمل المخاطب على الاعتراف ، والإقرار بأمر كان قد استقرّ عنده.

و. التسوية

ويفهم من الاستفهام هنا المساواة بين أمرين يسأل عنهما المتكلّم، كقول المتنبّي (الطويل):

ولست أبالي بعد إدراكي العلا أكان تراثا ما تناولت أم كسبا

فالشاعر لا يسأل ليفاضل بين الطريف والتلّيد لأنهما سيّان عنده. فهو يساوي بينهما ولا يسأل عن الأفضل.

ز. التشويق

المتكلم هنا يدرك الخبر ويشوّق سامعه إلى سماعه، فكأنه يريد دغدغة المخاطب وتحفيزه على الاستفهام، لأنّه يطرح السؤال ويجيب عنه غالبا، كقولنا: أتريد مالا؟ خذ المال، ومنه قوله تعالى: **(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ* تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)** الصّف: ١٠ . ١١، فالآية ١٠ شوّقت المخاطبين الى سماع الخبر اليقين الذي جاء واضحا في الآية ١١ لذلك لم يكن الاستخبار مقصودا فيها؛ لأنّ الخبر ملقى من السائل في الآية التي تلتها.

ح. الاستئناس

مثاله قوله تعالى: **(وَما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى)** طه: ١٧. فالعصا الموجودة في يد موسى يعرفها السائل ويراها ويعلم حقيقة أمرها.

ط. التهويل والتخويف

كقوله تعالى: **(الْقارِعَةُ* مَا الْقارِعَةُ)** القارعة: ١ . ٢ والسؤال هنا للتهويل والتخويف، لأن السائل يعرف الحقيقة ولكنه أراد تخويف المخاطبين.

ي. الاستبعاد

كقوله تعالى: **(أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرى وَقَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ)** الدخان: ١٣ فالآية لا تستفهم بقدر ما تستبعد حصول المسؤول عنه.

ك. التعظيم

كقوله تعالى: **(مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)** البقرة: ٢٥٥ فالاستخبار مستبعد وتقرير التعظيم هو المقصود.

ل. التحقير

كقوله تعالى: **(ما هذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ)** الأنبياء: ٥٢ فالآية لا تستخبر عن التماثيل بل هي تهدف الى تحقيرها وتهوين شأنها.

م. التّفخيم

كقوله تعالى: **(كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)** البقرة: ٢٨.

ن. الوعيد

كقوله تعالى: **(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ)** الفجر: ٦.

س. التوبيخ :

كقوله تعالى: **(أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي)** طه: ٩٣، فالآية لا تستفهم لأن السائل يعرف حقيقة الأمر، لكنّها تلوم على ما وقع.

****

تمرينات:

١. دلّ على صيغة الاستفهام، وبيّن الغرض منه في ما يأتي:

قال تعالى:

-**(سَواءٌ عَلَيْنا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْواعِظِينَ)** الشعراء:

-**(أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً)** الشعراء: ١٨

-**(أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ)** الزخرف: ٤٠

-**(الْحَاقَّةُ* مَا الْحَاقَّةُ* وَما أَدْراكَ مَا الْحَاقَّةُ)** الحاقة: ١ . ٣

-**(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً)** البقرة: ٢٤٥

-**(فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ)** التكوير: ٢٦

-**(أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ)** الزخرف: ٣٢

٢. دلّ على صيغة الاستفهام واشرحه مبيّنا الغرض منه:

قال الشاعر:

من لي بإنسان إذا أغضبته وجهلت كان الحلم ردّ جوابه؟

أيضًا:

ما للمنازل أصبحت لا أهلها أهلي ولا جيرانها جيراني؟

أيضًا:

أتلتمس الأعداء بعد الذي رأت قيام دليل أو وضوح بيان؟

أيضًا:

ألست أعمّهم جودا وأزكا هم عددا وأمضاهم حساما؟

أيضًا:

إلام الخلف بينكمو إلاما؟ وهذي الضّجة الكبرى علام؟

أيضًا:

أبنت الدهر عندي كلّ بنت فكيف وصلت أنت من الزّحام؟

أيضًا:

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري أطنين أجنحة الذباب يضير؟

أيضًا:

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر؟

****

٤ ـ التمنّي

٤ . ١. تعريفه:

هو طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله لسبب من اثنين، إما:

١. لكونه مستحيلا، نحو قوله (الوافر):

ألا ليت الشباب يعود يوما فأخبره بما فعل المشيب

٢. لكونه ممكنا غير مطموع في نيله كقوله تعالى: **(يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ)** القصص: ٧٩.

٤ . ٢. أنواعه:

إذا كان الأمر المحبوب ممّا يرجى حصوله كان طلبه ترجّيا، ويعبّر فيه بـــ: عسى، نحو قوله تعالى: **(فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ)** المائدة: ٥٢، أو لعلّ كقوله تعالى: **(لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلِكَ أَمْراً)** الطلاق: ١.

ألفاظ التمنّي

للتمني أربع ألفاظ، منها: واحدة أصلية (ليت) وثلاث غير أصلية تنوب عنها، ويتمنّي بها لغرض بلاغي، وهي :

. (هل): كقوله تعالى: **(فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا)** الاعراف: ٥٣.

. لو: كقوله تعالى: **(فَلَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)** الشعراء: ١٠٢.

. لعلّ: كقول الشاعر (الطويل):

أسرب القطا هل من يعير جناحه لعلّي إلى من قد هويت أطير؟!

* ولاستخدام هذه الألفاظ في التمنّي ينصب المضارع الواقع في جوابها.

ثم إن (هل ولو ولعلّ) ألفاظ غير أصلية في التمنّي، وقد ينشأ التمنّي بأفعال مخصوصة مثل: تمنّى، أمل، ومشتقاتهما...

تمارين:

١. دلّ على ألفاظ التمنّي والترجّي وبيّن المعاني المستفادة منهما في ما يأتي:

قال الشاعر:

فليت الليل فيه كان شهرا ومرّ نهاره مرّ السّحاب

وأيضًا:

ولّى الشباب حميدة أيامه لو كان ذلك يشترى أو يرجع

وأيضًا:

٣. فيا ليت ما بيني وبين أحبّتي من البعد ما بيني وبين المصائب

وأيضًا:

٤. فليت الشامتين به فدوه وليت العمر مدّ له فطالا

وأيضًا:

٥. علّ الليالي التي أضنت بفرقتنا جسمي ستجمعني يوما وتجمعه

وأيضًا:

٦. أيا منزلي سلمى سلام عليكما هل الأزمن اللائي مضين رواجع

وأيضًا:

٧. ليت الملوك على الأقدار معطية فلم يكن لدنيء عندها طمع

وأيضًا:

٨. ألا ليت شعري هل أقول قصيدة فلا أشتكي فيها ولا أتعتّبّ

٥ ـ النّداء

٥ . ١. تعريفه:

هو لغة: أن تدعو غيرك ليقبل عليك، وفي الاصطلاح: طلب الإقبال أو تنبيه المنادى وحمله على الالتفات بأحد حروف النداء، أو أنه «ذكر اسم المدعوّ بعد حرف من حروف النداء».

٥ . ٢. حروفه:

حروفه ثمانية وهي:

١ . ٢. الهمزة وأي : لنداء القريب.

٣ . ٤ . ٥ . ٦ . ٧ . ٨ : يا ، آي ، أيا ، هيا ، آ ، وا. وهذه جميعا لنداء البعيد.

* يمكن أن يتحقق النداء من دون استعمال الأداة: ربّ اغفر لي!

٥ . ٣. خروج هذه الأحرف عن أصل وضعها:

قد ينزّل البعيد منزلة القريب، فينادى عندها بالهمزة وأي إشارة الى أنّه لشدّة استحضاره في ذهن المتكلم صار كالحاضر معه، لا يغيب عن القلب، وكأنّه ماثل أمام العين. ومثاله قول الشاعر (الطويل):

أسكان نعمان الأراك تيقّنوا بأنّكم في ربع قلبي سكّان.

وقد ينزّل القريب منزلة البعيد فينادى بغير (الهمزة وأي) لأغراض منها:

أ. الإشارة الى علوّ مرتبته:

فيجعل بعد المنزلة كأنّه بعد في المكان ، كقول أبي نواس (الكامل):

يا ربّ إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأنّ عفوك أعظم.

ب. الإشارة الى انحطاط منزلته ودرجته:

فكأن بعد درجته في الانحطاط بعد في المسافة كقول الفرزدق (الطويل):

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع.

ج. الإشارة الى أن المنادى لغفلته وشرود ذهنه كأنّه غير حاضر مع المنادي في مكان واحد، كقول الشاعر (الطويل):

يا جامع الدنيا لغير بلاغة لمن تجمع الدنيا وأنت تموت؟.

* وقد تخرج ألفاظ النداء عن معناها الأصلي إلى معان أخرى، تفهم من السياق وتعين على معرفتها القرائن، ومنها:

د. الإغراء:

كقولك لمن أقبل يتظلم: يا مظلوم تكلّم.

هـ. الندبة:

كقول الشاعر (الطويل):

فوا عجبا كم يدّعي الفضل ناقص ووا أسفاكم يظهر النقص فاضل.

و. التعجّب:

كقول طرفة (الرجز):

يا لك من قبّرة بمعمر! خلا لك الجوّ فبيضي واصفري.

ز. الزّجر:

كقول الشاعر (الخفيف):

أفؤادي متى المتاب ألمّا تصح والشيب فوق رأسي ألمّا.

ح. التحسّر والتوجّع

كقول الشاعر (الطويل):

أيا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البرّ والبحر مترعا.

ط. التذكّر:

كقول الشاعر (الطويل):

أيا منزلي سلمى سلام عليكما هل الأزمن اللاتي مضين رواجع.

ي. التحيّز والتضجّر:

ويكثر هذا في نداء الأطلال والمطايا ونحوها، كقول الشاعر (البسيط):

أيا منازل سلمى أين سلماك من أجل هذا بكيناها بكيناك.

تمارين:

١. دلّ على ألفاظ الندا، وبيّن ما جرى منها على أصل وضعه في نداء القريب أو البعيد، وما خرج منها عن ذلك، واذكر الأسباب:

قال الشاعر:

١. أبنيّ إنّ أباك كارب يومه فاذا دعيت الى المكارم فاعجل

وأيضًا:

٢. يا من يرجّى للشدائد كلّها يا من إليه المشتكى والمفزع

وأيضًا:

٣. أيا من عاش في الدنيا طويلا وأفنى العمر في قيل وقال

وأيضًا:

٤. يا أيها القلب هل تنهاك موعظة أو يحدثن لك طول الدّهر نسيانا

وأيضًا:

٥. أحسين إنّي واعظ ومؤدّب فافهم فإنّ العاقل المتأدّب

وأيضًا:

٦. أيا ربّ قد أحسنت عودا وبدأة إليّ فلم ينهض بإحسانك الشكر

ثانياً: الإنشاء غير الطلبي

١ . ١. تعريفه:

هو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب.

١ . ٢. صيغة:

يكون بصيغ:

أ. المدح:

ب (نعم وحبّذا)، والأفعال المحوّلة الى فعل ك: كرم عليّ حسبا ونعم المعرفة ببلاد الغربة وحبذا العيش حين قومي جميع.

ب. الذمّ:

ب (بئس)، نحو: بئس العوض من التوبة الإصرار، والافعال المحوّلة إلى فعل ك (خبث بكر أصلا) ولا حبذا.

ج. التعجّب:

بصيغتيه القياسيتين: ما أفعل، نحو: ما أجمل الدين والدنيا إذا اجتمعا! وأفعل به، نحو: أكرم بها خلّة لو انها صدقت...وبصيغه السّماعية المختلفة نحو: لله درّك! لله أبوهم!

د. القسم:

ويكون بالواو: والله، أو بالباء (بحياتي)، أو بالتاء تالله، وبصيغ سماعيه: لعمرك ما فعلت كذا، لعمري وما عمري عليّ بهيّن...

هـ. الرجاء:

وأفعاله: عسى، حرى، إخلولق، وعسى أكثرها شيوعا.

و. العقود:

وتكون بصيغة الماضي على العموم نحو: بعت، واشتريت، ووهبت...وترد قليلا بغيره نحو: أنا بائع، وعبدي حرّ...

* عدّ البلاغيون الإنشاء غير الطلبي خارجا عن مباحث علم المعاني لأن اكثر صيغه في الأصل أخبار نقلت الى الإنشاء.

****

الفصل الخامس
في أحوال المسند إليه

١ ـ في ذكر المسند إليه

الأصل أن يذكر المسند إليه، وقد يترجّح الذكر مع وجود قرينة تمكّن من الحذف، حين لا يكون منه مانع.

ومن مرجّحات الذكر:

أ. زيادة الإيضاح والتقرير:

كقوله تعالى: **(أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)** البقرة: ٥، فأولئك مسند اليه كرّر ذكره زيادة في التقرير والايضاح تنبيها على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة والهداية في الدنيا، فقد ثبت لهم الفلاح في الآخرة أيضا.

ب. قلّة الثقة بالقرينة لضعفها أو ضعف فهم السامع:

ومثاله: سعد نعم الزعيم، تقول ذلك وقد سبق لك ذكر سعد، وطال عهد السامع به، أو ذكر معه كلام في شأن غيره.

ج. بسط الكلام وإطالته:

كقوله تعالى: **(بِيَمِينِكَ يا مُوسى * قالَ هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْها وَأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمِي وَلِيَ فِيها مَآرِبُ أُخْرى)** طه: ١٧ . ١٨، وكان من الممكن الإجابة عن السؤال في الآية ١٧ بكلمة (عصا)، لكن ذكر المسند إليه (هي) لبسط الكلام وإطالته تلذذا بمناجاة ربّه ليزداد

بذلك شرفا وفضلا، ولذلك لم يكتف بقوله هي عصاي، بل أضاف اليها صفات أخرى (أَتَوَكَّؤُا)، (أَهُشُ)، (لِيَ فِيها مَآرِبُ أُخْرى).

د. التعريض بغباء السامع :

كقول الفرزدق معرّضا بغباء هشام بن عبد الملك عند تجاهله زين العابدين (البسيط):

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحرم.

فالفرزدق يكرّر ذكر المسند إليه (هذا) إشارة إلى ان المخاطب غبيّ لا تكفيه القرينة، ولا يفهم إلّا بالتصريح.

هـ. إظهار تعظيم المسند إليه بذكر اسمه :

ومثاله الجواب: حضر سيف الدولة، على من سأل: هل حضر الأمير؟

و. التلذّذ بذكره :

وذلك في كل ما يهواه المرء ويتوق إليه، والانسان إذا أحبّ شيئا أكثر من ذكره، ومثاله قول عباس محمود العقّاد:

الحبّ أن نصعد فوق الذرى والحبّ أن نهبط تحت الثرى

والحبّ أن نؤثر لـــــذّاتنا وأن نرى آلامنـــــــــا أثرا

وكقول المؤمن: الله ربّي، الله حسبي...

ز. إظهار تحقيره وإهانته:

وذلك لما يحمله اسمه ويدلّ عليه من معنى الحقارة، كقولك: إبليس اللعين هو الذي أخرج آدم من الجنّة، جوابا عن سؤال: من أخرج آدم من الجنّة؟ أو قولك: السارق قادم، جوابا على سؤال: هل حضر السارق.

تمرين:

١. بيّن اسباب ذكر المسند إليه في ما يأتي:

-هو الشمس في العليا هو الدهر في السّطا

-هو البدر في النادي هو البحر في النّدى

-سعيد قال هذا، جوابا على سؤال من قال هذا؟

-(اللهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ* هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ...) الحشر: ٢٢ . ٢٣.

-فعبّاس يصدّ الخطب عنّا وعبّاس يجير من استجارا

*****

٢. في حذف المسند إليه:

المسند إليه ركن في الجملة، والأصل ذكره ، لكنّ حذفه جائز إذا كان في سياق الكلام ما يدل عليه، أو قرينة تساعد على معرفته، ويحذف لأغراض منها:

١. إذا كان المسند إليه مبتدأ:

أ ـ الإحتراز من السأم والعبث :

المراد بالاحتراز من العبث أنّ المسند إليه معلوم بحيث يعدّ ذكره عبثا يقلّل من قيمة العبارة بلاغيا، ومثاله قوله تعالى **(ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ)** البقرة: ٢، فذكر المسند إليه (الهاء في فيه) يثير قلقا لشدّة قرب الكتاب منه ممّا يبعث السأم في النفس لوضوح المسند إليه وقرب الحديث عنه، ويحذف المسند إليه احترازا من السّأم والعبث في المواضع الآتية:

١ ـ إذا وقع في جواب الاستفهام:

ومثاله قوله تعالى: **(وَما أَدْراكَ مَا الْحُطَمَةُ* نارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ)** الهمزة: ٥ . ٦. أي هي نار الله الموقدة، وسؤالك عن قادم جديد من القادم؟ فإذا الجواب سعيد أي القادم سعيد أو هو سعيد.

٢ ـ إذا وقع بعد الفاء المقترنة بجواب الشرط :

ومثاله قوله تعالى: **(مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَساءَ فَعَلَيْها)** فصّلت: ٤٦، والتقدير: فعمله لنفسه، وإساءته عليها.

٣ ـ إذا وقع بعد فعل القول ومشتقاته:

ومثاله قوله تعالى: **(فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَها وَقالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ)** الذاريات: ٢٩، والتقدير أنا عجوز عقيم، والحذف

هنا سببه ضيق الصّدر عن إطالة الكلام، ولأن المبتدأ يحذف بعد القول.

٤ . ضيق الصدر عن إطالة الكلام بسبب تضجّر وتوجّع:

ومثاله قول الشاعر (الخفيف):

قال لي: كيف أنت؟ قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

أي قلت: أنا عليل، فلم يقل أنا عليل لضيق المقام بسبب الضجر الحاصل له من الضّني، وقول آخر (الخفيف):

لم تبكين؟ من فقدت؟ فقالت والأسى غالب عليها : حبيبي

أي فقالت الفقيد حبيبي ولم تذكر الفقيد لضيق المقام بسبب الضجر الحاصل لها من التوجّع.

٥ . الحذر من فوات فرصة:

كقولك منبّها صديقك لوجود صديقكما المشترك: سعي ، أي هذا سعيد، وكقول منبّه الصيّاد: غزال، أي: هذا غزال أو كقولنا: غارة، أي: هذه غار...وما إلى ذلك.

٦ . تعجيل المسرّة بالمسند:

كأن يقول الفائز: جائزتي، أي: هذه جائزتي وشدّة سروره حملته على الاختصار.

٧ . إنشاد المدح أو الذم أو الترحّم:

أ. مثال المدح قولنا: الحمد لله أهل الحمد، أي: هو أهل الحمد.

ب. مثال الذّم قولنا: أعوذ بالله من الشيطان، الرجيم، أي: هو الرجيم.

ج. في الترحّم ومثاله قولنا: اللهم ارحم عبدك، المسكين، أي: هو المسكين.

٨ ـ كون المسند إليه معيّنا معلوما:

ومثاله قوله تعالى: **(تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَتُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ)** آل عمران: ٢٧، فالمسند إليه معيّن معلوم هو الله سبحانه، والمسند لا يصلح إلا له.

٩ ـ تكثير الفائدة:

نحو قولك: صبر جميل والتقدير فأمري صبر جميل.

ب. إذا كان المسند إليه فاعلا:

يحذف الفاعل قصدا إلى الإيجاز، أو لدواع معنوية أخرى، ومن دواعي الحذف اللفظية:

١ ـ القصد إلى الإيجاز في العبارة:

ومثاله قوله تعالى: **(وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ)** النحل: ١٢٦، والمعنى فعاقبوا بمثل ما عاقبكم به المعتدي، وكان في الكلام قرينة تعين على فهم المعنى ومعرفة الفاعل فحذف مراعاة للإيجاز.

٢ ـ المحافظة على السجع في المنثور:

ومثاله قولهم: من طابت سريرته، حمدت سيرته، والمعنى حمد الناس سيرته وقد حذف الفاعل ليبقي على الرفع محافظة على الضمّ الذي يضمن سجعا تاما وجرسا أجمل.

٣ ـ المحافظة على الوزن شعرا:

ومثاله قول لبيد (الطويل):

وما المال والأهلون إلّا ودائع ولا بدّ يوما أن تردّ الودائع.

والمعنى: لا بدّ أن يردّ الناس الودائع، فلو ذكر الفاعل (الناس) لاقتضى الذكر نصب الودائع فتختلّ حركة الروي، ويقع في عيب الإقواء، ونذكر من دواعي حذفه المعنوية ما يأتي:

١ ـ كون الفاعل معلوما لا يحتاج السامع الى ذكره:

ومثاله قوله تعالى **(وَخُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِيفاً)** النساء: ٢٨ فالفاعل معروف لا يمكن أن يجهله السامع، وهو الله سبحانه وتعالى، فلشدّة العلم به، ولأنه لا يناقش فيه، أمكن حذفه.

٢ ـ كون الفاعل مجهولا من قبل المتكلم

كقول أحدهم: سرقت سيّارتي، فالمتكلم لا يعرف السارق وليس في قوله: سرق اللص سيّارتي فائدة زائدة في الإفهام أو إزالة للإبهام المحيط باللص السّارق.

٣ ـ رغبة المتكلم في الإبهام على السامع.

كقول القائل: تبرّع بألف دولار، رغبة منه في عدم ذكر اسم المتبرّع، وهذا ما يلجأ إليه كبار النفوس الذين يعطون حبّا بالعطاء، لا طمعا في شهرة، فالمتبرّع الكريم أفضل عند هؤلاء من التصريح بأسمائهم.

٤ ـ رغبة المتكلم في إظهار تعظيمه للفاعل:

ويتمّ التعظيم بصون اسمه عن أن يجري على لسانه، كقولك: خلق الخنزير.

٥ ـ رغبة المتكلم في إظهار تحقير الفاعل:

فيصون لسانه عن أن يجري بذكر الفاعل، كقول أحدهم في وصف آخر: يهان ويذلّ ولا يغضب.

٦ . خوف المتكلم من الفاعل، أو خوفه عليه:

كقول أحدهم: قتل جاري، والقاتل معروف منه غير مجهول، وإخفاء اسمه عائد إمّا لرهبة من القاتل، وإمّا لرغبة منه في عدم تعريف الآخرين إليه.

****

تمارين:

١ . وضّح أسباب حذف المسند إليه في ما يأتي وبيّن ما إذا كان مبتدأ أو فاعلا.

قال تعالى:

-(فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ* فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ* وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ* فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ* وَما أَدْراكَ ما هِيَهْ* نارٌ حامِيَةٌ) القارعة : ٦ . ١١.

-(صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ) البقرة: ١٨.

-(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ) الحج: ٣٩ . ٤٠.

-(فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ) الجمعة: ١٠.

وقال الشاعر:

ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم أحكّم في أموالهم وأقرّب.

وأيضًا:

عليل الجسم ممتنع القيام شديد السكر من غير المدام.

وأيضًا:

لئن كنت قد بلّغت عنّي وشاية لمبلغك الواشي أغشّ واكذب.

وأيضًا:

نبّئت أنّ رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

وأيضًا:

سأشكر عمرا ما تراخت منيّتي أيادي لم تمنن وإن هي جلّت.

****

في المسند وأحواله

١ . في ذكر المسند:

يذكر المسند لأغراض منها:

١ . كون ذكره هو الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه، نحو: العلم خير من المال.

٢ . ضعف التعويل على دلالة القرينة، نحو: حالي مستقيم، ورزقي ميسور، إذ لو حذف ميسور لا يدلّ عليه المذكور.

٣ . الاحتراس من ضعف تنبّه السامع، نحو: (أَصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُها فِي السَّماءِ) ابراهيم: ٢٤. إذ لو حذف (ثابت) ربّما لا يتنبّه السامع لضعف فهمه.

٤ . تسجيل الردّ على المخاطب:

نحو (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ) يس: ٧٩، جوابا لقوله (قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) يس: ٧٨.

٢ . في حذف المسند:

يحذف المسند لأغراض بلاغية أهمها:

١ . ضيق المقام عن إطالة الكلام، كقول الشاعر (المنسرح):

نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف.

أي نحن راضون فحذف لضيق المقام.

٢ . اختبار تنبّه السامع عند قيام قرينة تعين على الفهم السليم، وتكون القرينة مذكورة ملفوظة نحو قوله تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ) العنكبوت: ٦١ أي

خلقهن الله، وتكون ملحوظة كما في قول ضرار بن نهشل يرثي أخاه يزيد (الطويل):

ليبك يزيد: ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح.

كأنه بعد أن قال بالبناء للمجهول (ليبك يزيد) سئل: ومن يبكيه؟ فأجاب: يبكيه ضارع ومختبط.

٣ . **الاحتراز من العبث**، نحو قوله تعالى: (.. أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) التوبة: ٣، أي ورسوله بريء منهم أيضا، فلو ذكر هذا المحذوف لكان ذكره عبثا لعدم الحاجة إليه.

٤ . **مجاراة الاسلوب العربي الفصيح**، نحو قوله تعالى: (لَوْ لا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) سبأ: ٣١، أي لو لا أنتم موجودون. والخبر بعد لو لا محذوف وجوبا كما يقول النحاة.

٣ . تعريف المسند

يعرّف المسند لأغراض منها:

١ . **إفادة السامع حكما على أمر معلوم عنده** بأمر آخر مثله بإحدى طرق التعريف، نحو: هذا الخطيب، ذاك نقيب الأشراف.

٢ . **إفادة قصره على المسند إليه حقيقة**، نحو : زيد الأمير، أو ادّعاء: عمرو الشجاع.

٤ . **تنكير المسند:** ينكّر المسند إذا لم يوجد ما يقتضي تعريفه وذلك لأسباب منها:

١ . إرادة عدم الحصر: نحو: زيد كاتب وعمرو شاعر.

٢ . افادة التفخيم: نحو قوله تعالى: (هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) البقرة : ٢.

٣ . ارادة التحقير: نحو: ما زيد رجلا يذكر.

٤ . اتباع المسند إليه في التفكير: نحو: طالب داخل القاعة.

٥ . تقديم المسند:

يقدّم المسند لأغراض بلاغية منها:

١ . **التخصيص بالمسند إليه،** نحو قوله تعالى: (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ) آل عمران : ١٨٩

٢ . **التشويق للمتأخر:** إذا كان في المتقدّم ما يشوق لذكره، كتقديم المسند في قوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ) آل عمران: ١٩٠.

٣ . **التفاؤل:** نحو قولك لمريض تعوده: في عافية انت.

٤ . **تعجيل المسرّة:** للمخاطب، نحو: لله درّك.

٦ . تأخير المسند:

تأخير المسند هو الأصل لذلك لا نرى حاجة لإطالة الكلام فيه.

****

الباب الثاني

نماذج تطبيقية

الفصل الأول
من بديع الإيجاز والإطناب في القرآن الكريم

أولاً: يعرف علماء البلاغة الإيجاز بأنه التعبير عن المراد بلفظ غير زائد، ويقابله الإطناب؛ وهو التعبير عن المراد بلفظ أزيد من الأول. ويكاد يجمع الجمهور على أن الإيجاز، والاختصار بمعنى واحد؛ ولكنهم يفرقون بين الإطناب، والإسهاب بأن الأول تطويل لفائدة، وأن الثاني تطويل لفائدة، أو غير فائدة.

ويعدُّ الإيجاز والإطناب من أعظم أنواع البلاغة عند علمائها، حتى نقل صاحب سر الفصاحة عن بعضهم أنه قال: اللغة هي الإيجاز والإطناب، وقال الزمخشري صاحب الكشاف: كما أنه يجب على البليغ في مظانِّ الإجمال أن يجمل ويوجز، فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل أن يفصل ويشبع.

ثانيًا: ومن بديع الإيجاز قوله تعالى في وصف خمر الجنة:﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴾(الواقعة: ١٩)، فقد جمع عيوب خمر الدنيا من الصداع، وعدم التعقل، وذهاب المال، ونفاد الشراب.

وحقيقة قوله تعالى:﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا ﴾. أي: لا يصدر صداعهم عنها. والمراد: لا يلحق رؤوسهم الصداع، الذي يلحق من خمر الدنيا. وقيل: لا يفرقون عنها، بمعنى: لا تقطَع عنهم لذتهُم بسبب من الأسباب، كما تفرق أهل خمر الدنيا بأنواع من التفريق.

وقرأ مجاهد:﴿ لَا يَصَدَّعُونَ ﴾، بفتح الياء وتشديد الصاد، على أن أصله: يتصدعون، فأدغم التاء في الصاد. أي: لا يتفرقون؛ كقوله تعالى:﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾(الروم: ٤٣). وقُرِىءَ:﴿ لَا يَصَدَعُونَ ﴾، بفتح الياء والتخفيف، أي: لا يصدع بعضهم بعضًا، ولا يفرقونهم. أي: لا يجلس داخل منهم بين اثنين، فيفرق بين المتقاربين؛ فإنه سوء أدب، وليس من حسن العشرة.

وقوله تعالى:﴿ وَلَا يُنْزِفُونَ ﴾، قال مجاهد، وقتادة، والضحاك: لا تذهب عقولهم بسكرها، من نزف الشارب، إذا ذهب عقله. ويقال للسكران: نزيف ومنزوف. قيل: وهو من نزف الماء: نزحه من البئر شيئًا فشيئًا.

ثالثًا: ومن بديع الإطناب قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام:﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبّى ﴾(يوسف: ٥٣).

ففي قوله:﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ﴾ تحيير للمخاطب وتردد، في أنه كيف لا يبرىء نفسه من السوء، وهي بريئة، قد ثبت عصمتها ! ثم جاء الجواب عن ذلك بقوله:﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبّى ﴾.

والمراد بالنَّفْسَ النفس البشرية عامة. وأمَّارَةٌ صيغة مبالغة على وزن: فعَّالة. أي: كثيرة الأمر بِالسُّوءِ. أي: بجنسه. والمراد: أنها كثيرة الميل إلى الشهوات. والمعنى: إن كل نفس أمارة بالسوء، إلا نفسًا رحمها الله تعالى بالعصمة.

وهذا التفسير محمول على أن القائل يوسف عليه السلام. والظاهر أنه من قول امرأة العزيز، وأنه اعتذار منها عما وقعت فيه مما

يقع فيه البشر من الشهوات، والمعنى: وما أبريء نفسي، مع ذلك من الخيانة، فإني قد خنته حين قذفته، وقلت:﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(يوسف: ٢٥)، وأودعته السجن، تريد بذلك الاعتذار مما كان منها، ثم استغفرت ربها، واسترحمته مما ارتكبت.

رابعًا: ومن الآيات البديعة، التي جمعت بين الإيجاز والإطناب، في أسلوب رفيع من النظم بديع، قول الله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾(النمل: ١٨).

أما الإطناب فنلحظه في قول هذه النملة:﴿ يَا أَيُّهَا ﴾، وقولها:﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. أما قولها:﴿ يَا أَيُّهَا ﴾ فقال سيبويه:" الألف والهاء لحقت { أيًّا } توكيدًا؛ فكأنك كررت { يا } مرتين، وصار الاسم تنبيهًا"، وقال الزمخشري:" كرر النداء في القرآن بـ﴿ يَا أَيُّهَا ﴾، دون غيره؛ لأن فيه أوجهًا من التأكيد، وأسبابًا من المبالغة؛ منها: ما في { يا } من التأكيد، والتنبيه، وما في { ها } من التنبيه، وما في التدرُّج من الإبهام في { أيّ } إلى التوضيح، والمقام يناسبه المبالغة، والتأكيد، وأما قولها:﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فهو تكميل لما قبله، جيء به، لرفع توهُّم غيره، ويسمَّى ذلك عند علماء البلاغة والبيان: احتراسًا؛ وذلك من نسبة الظلم إلى سليمان- عليه السلام- وكأن هذه النملة عرفت أن الأنبياء معصومون، فلا يقع منهم خطأ إلا على سبيل السهو، قال الرازي:" وهذا تنبيه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الأنبياء، عليهم السلام"، ومثل ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ

تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾(الفتح:٢٥)، أي: تصيبكم جناية كجناية العَرِّ؛ وهو الجرب.

وأما الإيجاز فنلحظه فيما جمعت هذه النملة في قولها من أجناس الكلام؛ فقد جمعت أحد عشر جنسًا: النداء، والكناية، والتنبيه، والتسمية، والأمر، والقصص، والتحذير، والتخصيص، والتعميم، والإشارة، والعذر.

فالنداء:{ يا }. والكناية:{ أيٌّ }. والتنبيه:{ ها }. والتسمية:{ النمل }. والأمر:{ ادخلوا }. والقصص:{ مساكنكم }. والتحذير:{ لا يحطمنكم }. والتخصيص:{ سليمان }. والتعميم:{ جنوده }. والإشارة:{ هم }. والعذر:{ لا يشعرون }.

فأدَّت هذه النملة بذلك خمسة حقوق: حق الله تعالى، وحق رسوله، وحقها، وحق رعيتها، وحق الجنود، فأما حق الله تعالى فإنها استُرعيت على النمل، فقامت بحقهم، وأما حق سليمان– عليه السلام– فقد نبَّهته على النمل، وأما حقها فهو إسقاطها حق الله تعالى عن الجنود في نصحهم، وأما حق الرعية فهو نصحها لهم؛ ليدخلوا مساكنهم، وأما حق الجنود فهو إعلامها إياهم. وجميع الخلق، أن من استرعاه الله تعالى رعيَّة، وجب عليه حفظها، والذبِّ عنها، وهو داخل في الخبر المشهور: "كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته"، هذا من جهة المعنى، وأما من جهة المبنى (اللفظ) فإن كلمة { نملة } من الكلمات، التي يجوز فيها أن تكون مؤنثة، وأن تكون مذكرة؛ وإنما أنث لفظها للفرق بين الواحد، والجمع من هذا الجنس، ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام:"لا تضحِّي بعوراءَ، ولا عجفاءَ، ولا عمياءَ" كيف أخرج هذه

الصفات على اللفظ مؤنثة، ولا يعني الإناث من الأنعام خاصة! وأما تنكير {نملة} ففيه دلالة على البعضيَّة، والعموم، أي: قالت نملة من هذا النمل، وهذا يعني أن كل نملة مسؤولة عن جماعة النمل، وأما قولها:﴿ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ ففيه إيجاز بالحذف بليغ؛ لأن أصله: ادخلوا في مساكنكم، فحذف منه { في }، تنبيهًا على السرعة في الدخول.

ولفعل { دخل } استعمالات دقيقة في اللغة والقرآن، تخفى حتى على الكثير من علماء اللغة والتفسير، لخصها الأستاذ محمد إسماعيل عتوك في مقالته النقدية (من أسرار تعدية الفعل في القرآن الكريم)، وأما قولها:﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ﴾، بنون مشددة أو خفيفة، فظاهره النفيُ؛ ولكن معناه على النهي. والنهيُ إذا جاء على صورة النفي، كان أبلغ من النهي الصريح. وفيه تنبيه على أن من يسير في الطريق، لا يلزمه التحرُّز؛ وإنما يلزم من كان في الطريق.

خامسًا: وفي التعبير بـ ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ﴾، دون غيره من الألفاظ، دلالة دقيقة على المعنى المراد، لا يمكن لأيِّ لفظ أن يعبِّر عنه. ويبيِّن ذلك أن الحَطْمَ في اللغة هو الهَشْمُ، مع اختصاصه بما هو يابس، أو صلب، والحطمة من أسماء النار؛ لأنها تحطم ما يلقى فيها، وعن بعض العرب: قد تحطمت الأرض يبسًا، فأنشبوا فيها المخالب، وهي المناجل، أي: تكسرت زروع الأرض، وتفتتت لفرط يبسها، فجزوها، ومن هنا نجد القرآن الكريم يستعمل لفظ الحطم للزرع اليابس المتكسر، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾(الزمر: ٢١)

وقد ثبت للعلماء أن الزرع يحتوي في ساقه وورقه على نسب كبيرة من الزجاج؛ ولهذا نراه يتكسر حين يصفر، كما يتكسر الزجاج.

وكذلك النمل، فقد ثبت أن جسم النملة يحتوي على نسبة كبيرة من الزجاج، وأنه مغلف بغلاف صلب جداً قابل للتحطم؛ كالزرع اليابس، والزجاج الصلب. وذلك يشكل إعجازًا علميًّا من إعجاز القرآن إلى جانب إعجازه البياني، الذي يسمو فوق كل بيان!

وبعد..فقد أدركت هذه النملة الضعيفة فخامة ملك سليمان، وأحسَّت بصوت جنوده قبل وصولهم إلى وادي النمل، فنادت قومها، وأمرتهم بالدخول في مساكنهم أمر من يعقل، وصدر من النمل الامتثال لأمرها، فأتت بأحسن ما يمكن أن يؤتى به في قولها من الحكم، وأغربه، وأفصحه، وأجمعه للمعاني؛ ولهذا تبسم سليمان عليه السلام حين سمع قولها، وروي عنه- عليه السلام- أنه قال لها: لم قلت للنمل:﴿ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾؟ أخفت عليهم من ظلمنا ؟! فقالت: لا، ولكن خفت أن يفتتنوا بما يرَوْا من ملكك، فيشغلهم ذلك عن طاعة الله !

وفي حديث سليمان- عليه السلام- مع النملة، وحديثها مع قومها إعجاز آخر من إعجاز القرآن. فقد أثبت العلماء أن للنمل لغته الخاصة، التي يتفاهم بها، كما أثبت أن النملة المؤنثة هي التي ترعى قومها، وتتولى الدفاع عنهم، وتنبههم لأي خطر قادم، أو مفاجىء، وليس للذكر أي دور في ذلك؛ لأن مهمته مقتصرة على تلقيح الأنثى العذراء مرة واحدة في حياته، ثم يختفي.

وأسرار النمل وعجائبه كثيرة، ليس هذا المقال موضع بسطها، ويكفي أن أشير إلى أن النمل- على ضعفه- مخلوق قويُّ الحسِّ، شمَّامٌ جدًّا، نشيط جدًّا، يتميز بذكاء خارق، وقبل تخزين الحب يقوم يشق الحبة من القمح قطعتين؛ لئلا تنبت، ويشق الحبة من الكزبرة أربع قطع؛ لأنها إذا قطعت قطعتين أنبتت، والحب الذي لا يستطيع شقه، يقوم بنشره تحت أشعة الشمس بصفة دورية ومنظمة، حتى لا يصيبه البلل، أو الرطوبة فينبت، ويأكل في عامه بعض ما يجمع، ويدَّخر الباقي عدة أعوام، وحياته مثل حياة النحل دقيقة التنظيم، تتنوع فيها الوظائف، وتؤدى جميعها بإتقان رائع، يعجز البشر غالبًا عن إتباع مثله، على الرغم مما أوتوا من عقل راق، وإدراك عال.

بقي أن تعلم أن النمل يضرب المثل به في الضعف والقوة والكثرة، فمن أمثال العرب قولهم:" أضعف وأكثر وأقوى من النمل"، وحكي أن رجلاً قال لبعض الملوك: جعل الله قوَّتك مثل قوة النمل، فأنكر عليه ذلك، فقال: ليس من الحيوان ما يحمل ما هو أكبر منه إلا النملة، وقد أهلك الله تعالى بالنمل أمة من الأمم، وهي جرهم. ومن أمثالهم أيضًا قولهم:" أحرص من نملة، وأروى من نملة " لأنها تكون في الفلوات، فلا تشرب ماء.

فتأمل حكمة الله تعالى في أضعف خلقه، وردِّدْ مع سليمان- عليه السلام- قوله:﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾..

الفصل الثاني

التكرار في القرآن الكريم[1]

من خصائص النظم القُرْآني أيضًا المتعلقة بجانب اللفظ التكرار (الترداد) في ألفاظه ونظمه، وهو مذهب من مذاهب العرب في كلامها كانت تذهب إليه لأغراض شتى، غير أن التكرار في القُرْآن الكريم يباين التكرار في كلام العرب الذي لا يسلم معه الأسلوب من القلق والاضطراب، فيكون هدفًا للطعن والنقد، أما التكرار في القُرْآن الكريم فقد جاء محكمًا سليمًا من المآخذ والعيوب، غير دعاوى المغالين في الطعن فيه، وقد جاء التكرار في نظم القُرْآن على عدة صور:

- **يكون المكرر أداة تؤدي وظيفة في الجملة**:

بعد أن تستوفي ركنيها الأساسين ومن أمثلته قول الله تعالى: ﴿ **ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [النحل: ١١٠]، فقد تكررت (إن) في الآية مرتين، وكان من الممكن الاكتفاء بـ: (إن) الأولى، ولكن لما طال الفصل بينها وبين خبرها (لغفور رحيم) كررت (إن) ثانية؛ حتى لا يتنافى طول الفصل مع الغرض المسوقة له (إن)، وهو التوكيد؛ فاقتضت البلاغة تكررها لتلحظ النسبة بين ركني الجملة على ما حقها أن تكون عليه من التوكيد، يقول الزركشي: (وحقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى، خشية تناسي الأول لطول العهد به)..

[1] - من مقال للشيخ مسعد الشايب "بتصرف".

- **ومن هذه الصور أيضاً تكرار حرف الجر**:

كقوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ [البقرة: ٨]، فقد أعاد المولى تبارك وتعالى (الباء) مع حرف العطف في قوله: ﴿ **وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ** ﴾ [البقرة: ٨]، وهذا لا يكون إلا للتوكيد، وليس في القُرْآن غير هذا الموضع، والسر في هذا أن هذا حكاية لكلام المنافقين، وهم أكدوا كلامهم نفيًا للريبة وإبعادًا للتهمة، فكانوا في ذلك كما قيل: يكاد المريب يقول: خُذوني، فنفى الله الإيمان عنهم بأوكد الألفاظ، فقال: ﴿ **وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ [البقرة: ٨]، وذلك حينما جاء بضمير الجمع للغائب (هم) مسبوقًا بالنفي، فأخرج ذواتهم وأنفسهم من طوائف المؤمنين، وجاء الإيمان مطلقًا كأنه قال: ليسوا من الإيمان في شيء قط، لا من الإيمان بالله وباليوم الآخر، ولا من الإيمان بغيرهما.

- **قد يكون المكرر كلمة مع أختها لداعٍ**:

بحيث تفيد معنى لا يمكن الحصول عليه بدونها، ومِن أمثلته قول الله تعالى في أول سورة البقرة عن جزاء المؤمنين: ﴿ **أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [البقرة: ٥]؛ فقد تكرر اسم الإشارة (أولئك)، والسر في ذلك إظهار مزيد العناية بشأن المشار إليهم، والتنبيه على أنهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهدى ثبت لهم الاختصاص بالفلاح، وأن كل واحدة من الصفتين كافية في تمييزهم عن غيرهم، فلو لم تكرر (أولئك) لأوهم ذلك أن (الواو) في: {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [البقرة: ٥] حاليَّة وما بعدها حال، ولكن (الواو) عاطفة؛ لاختلاف الجملتين؛ فالهدى في الدنيا والفلاح في الآخرة، ولو لم تكرر

(أولئك) لربما فهم اختصاصهم بالمجموع، فيوهم تحقق كل من الهدى أو الفلاح منفردًا فيمن عداهم، ولكن كل واحدة كافية في تمييزهم عن غيرهم.

- **قد يكون المكرر آية بعينها**:

كقوله تعالى: ﴿ **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾ [الرحمن: ١٣]، تكرَّرت هذه الآية إحدى وثلاثين مرة، ثمانية منها ذكرت عقب الآيات التي تحدثت عن عجائب خلق الله من الآية (١٦) إلى الآية (٣٤)، ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم، وحسن ذكر الآلاء عَقيبها؛ لأن في صرفها ودفعها نعمًا توازي النعم المذكورة، أو لأنها حلت بالأعداء، وذلك يعد أكبر النعماء من الآية (٣٤) إلى الآية (٤٥)، ثم ثمانية في وصف الجنان وأهلها، من الآية (٤٧) إلى الآية (٦١)، ثم ثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما من الآية (٦٣) إلى الآية (٧٥)، فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها استحق كلتا الثمانيتين في وصف الجنان من الله، ووقاه السبعة التي جاءت في النار.

والسرُّ في ذلك التكرار:

أن الله تعالى خاطب في تلك السورة الثقَلين، وعدَّد عليهم نعمه وآلاءه، فكلما ذكر نعمة من نعمه أعقبها بتلك الآية؛ طلبًا لإقرارهم، واقتضَاء لشكرها؛ فالتكرار هنا لتعدد المتعلق، من الممكن أن نجمع الصور الثلاث السابقة تحت نوع واحد، ألا وهو: (تكرار البنية).

قد يكون المكرر قصة من قصص الأنبياء:

في مواضع متعددة مع اختلاف في طرق الصياغة وعرض الفكرة: كقصة آدم عليه السلام ذكرت في القُرْآن سبع مرات؛ في سورة البقرة، والأعراف، والحِجر، والإسراء، والكهف، وطه، و"ص"، وهذا التكرار في القصص له عدة فوائد:

١- التسلية والتثبيت لقلب المصطفى صلى الله عليه وسلم، بذكر ما اتفق للأنبياء من الإيذاء والتكذيب، مما حدث له من قومه صلى الله عليه وسلم؛ قال تعالى: ﴿ **وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [هود: ١٢٠]، وكان الإيذاء والاضطهاد والصد عن دينه متكررًا، فكان قصص الأنبياء متكررًا؛ تثبيتًا وتسلية.

٢- هذا التكرار وجه من وجوه الفصاحة؛ فإبراز القصة الواحدة بطرق كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفى ما فيه من الفصاحة، فكان تكرار القصص أسلوبًا من أساليب إظهار فصاحة القُرْآن، وهذا يسمى عند البلغاء (اقتدارًا).

٣- أن الدواعي لا تتوفر على نقل القصص كتوفر الدواعي على نقل الأحكام؛ فلهذا تكرر القصص.

٤- هذا التكرار في القصص قد تقع فيه بعض الزيادة مما لم يذكر في المواضع الأخرى؛ فمثلًا قصة آدم عليه السلام في سورة البقرة جاء فيها عدة أمور لم تأتِ في المواضع الأخرى: قول الله تعالى للملائكة: ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ [البقرة: ٣٠]، الإشارة إلى آدمَ بكلمة: ﴿ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]، تعجُّب الملائكة من استخلاف آدم في الأرض؛ لفساد ذريتِه في الأرض، وسفكهم للدماء، ولكون الملائكة مسبِّحة

ومقدِّسة (منزِّهة) لله؛ قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٣٠]، تعليم آدم عليه السلام أسماءَ المسميات كلها، وعرض هذه المسميات على الملائكة، والطلب أن ينبئوا عن أسمائها، وردهم العلم إلى الله وتسبيحهم له؛ قال تعالى: ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾ [البقرة: ٣١، ٣٢].

أمر آدم بإنباء الملائكة بأسماء المسميات، وقيامه بذلك؛ قال تعالى: ﴿ **قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ** ﴾ [البقرة: ٣٣].

٥- تعديد النعم، كما جاء في قصص بني إسرائيل في القُرْآن، وخاصة في سورة البقرة.

٦- قال الزركشي: (الرجل كان يسمع القصة من القُرْآن ثم يعود إلى أهله، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل بعد صدور الأوَّلين، وكان أكثر من آمن به مهاجريًّا، فلولا تكرر القصة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى آخرين، وكذلك سائر القصص، فأراد الله سبحانه وتعالى اشتراك الجميع فيها، فيكون فيه إفادة القوم، وزيادة تأكيد، وتبصرة لآخرين، وهم الحضور)..

٧- تكرار القصص وجه من وجوه الإعجاز في القُرْآن؛ حيث عجز العرب عن الإتيان بمثل آية من القُرْآن، وكرر القصص إيضاحًا لعجزهم؛ حيث عجزوا عن الإتيان بمثله بأي نظم جاؤوا وبأي عبارة عبروا، كما أن التكرار هو المناسب لقوله تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [هود: ١٣]، فلو ذكر قصة آدم مثلًا في موضع واحد واكتفى بها، لقال العربي: ائتونا أنتم بسورة من مثله، فأنزل الله سبحانه: ﴿ **قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ** ﴾ [هود: ١٣] في تعداد السور؛ دفعًا لحجتهم من كل وجه، كما أن هذا التكرار لم يوقع في اللفظ هجنة، ولا أحدث ملالًا، بخلاف التكرار في كلام المخلوقين.

٨- تكرار القصص في القُرْآن، سوى قصة يوسف عليه السلام – جاءت مخالفة للقصص في الكتب المتقدمة – الذي جاءت كل قصة من قصصه مجموعة في موضع واحد، كما وقع لقصة يوسف عليه السلام في القُرْآن، وإظهارًا لعجز العرب الذين عجزوا عن معارضة القصص المكرر وغيره.

- **قد يكون المكرر بعض الأوامر والنواهي والإرشادات والنصح**:

مما يقرر ويؤكد حكمًا شرعيًّا، أو يحث على فضيلة، أو ينهى عن رذيلة، أو يرغب في خير، أو ينفر من شر؛ كالأمر بالصلاة والزكاة والصبر، والنهي عن الفواحش والمنكرات، الصورة الرابعة والخامسة من الممكن أن تندرجا تحت نوع واحد، ألا وهو (تكرار المعنى)، ومن العرض السابق لصور التكرار في القُرْآن الكريم يتبين أن الأسباب الداعية إليه كالآتي: (تعدد المتعلق، إظهار الفصاحة، إظهار الإعجاز،

تحقيق النعمة، وترديد المنة، والتذكير بالنعم، واقتضاء شكرها، إظهار العناية بالأمر المكرر ليكون في السلوك أمثل وللاعتقاد أبين (التصوير والتجسيم)، بسط الموعظة وتثبيت الحجة (الإنذار والتهويل)، التقرير والتوكيد؛ فالأمر إذا تكرر تقرر، دفع توهم غير المعنى المراد).

****

الفصل الثالث

الترادف في القرآن الكريم[٢]

مما ينبغي على المسلم معرفته أنه ليس في كلام اللهِ تعالى تَرَادُفٌ، على الصحيح من أقوال العلماءِ، ولا تغني كلمةٌ عن كلمةٍ فيه، فلو جَمَعْتَ كلَ المترادفاتِ على أن تَأتِي بكلمةٍ تظنُ أنها أصلحُ من كلمةٍ في كتابِ الله تعالى فلن تجد إلى ذلك سبيلًا، بل ذلك محالٌ، ولا يمكن بحالٍ من الأحوالِ، وذلك لأنه ليس أي كلام بل هو كلام الملك العلام سبحانه وتعالى، قَالَ عَنْهُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** ﴾، أُحْكِمَتْ أَلْفَاظُهُ، وَفُصِّلَتْ مَعَانِيهِ، فَكُلُّ لَفْظَةٍ مِنْ أَلْفَاظِهِ، وَكُلُّ مَعْنًى من مَعَانِيهِ في أعلى درجاتِ الفصَاحةِ، وأرفعِ مقاماتِ البلاغةِ، لَا يُجَارَى وَلَا يُدَانَى.

يحوي اللفظُ اليسيرُ الكمَ الهائلَ من المعاني، واقرأ قولَ اللهِ تَعَالَى: ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾، ففي هذه الآية أمرانِ، ﴿ أَرْضِعِيهِ ﴾، و﴿ أَلْقِيهِ ﴾، ونهيانِ، ﴿ لا تَخَافِي ﴾ وَ ﴿ لا تَحْزَنِي ﴾، وخبرانِ، ﴿ أَوْحَيْنَا ﴾، وَ﴿ خِفْتِ ﴾، وبشارتانِ، ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ ﴾، وَ﴿ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾، قال شيخ الإسلام رحمه الله: الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر وإما معدوم، وقَلَّ أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه

[٢] - من مقال للسيد سعيد دياب "بتصرف".

تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن. فإذا قال القائل: ﴿ **يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاء مَوْرًا** ﴾، إن المور هو الحركة كان تقريبًا؛ إذ المور حركة خفيفة سريعة، وكذلك إذا قال: الوحي: الإعلام، أو قيل: ﴿ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾، أنزلنا إليك، أو قيل: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾، أي: أعلمنا، وأمثال ذلك، فهذا كله تقريب لا تحقيق؛ فإن الوحي هو إعلام سريع خفي، والقضاء إليهم أخص من الإعلام؛ فإن فيه إنزالا إليهم وإيحاء إليهم، وقال الزركشي رحمه الله: فَعَلَى المفسر مراعاة الِاسْتِعْمَالَاتِ وَالْقَطْعُ بِعَدَمِ التَّرَادُفِ مَا أَمْكَنَ فَإِنَّ لِلتَّرْكِيبِ مَعْنًى غَيْرَ مَعْنَى الْإِفْرَادِ وَلِهَذَا مَنَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْأُصُولِيِّينَ وُقُوعَ أَحَدِ الْمُتَرَادِفَيْنِ مَوْقِعَ الْآخَرِ فِي التَّرْكِيبِ وَإِنِ اتَّفَقُوا عَلَى جَوَازِهِ فِي الْإِفْرَادِ.

أمثلة لما يظن أنه من المترادف وليس كذلك:

- (**الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ**):

من الألفاظ التي يظن كثير من الناس أنها من المترادف ولَا يَكَادُ اللُّغَوِيُّ يُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ، ولَا شَكَّ أَنَّ بينهما بونا شاسعًا وفارقًا عظيمًا، فإن الْخَشْيَةَ هي الْخَوْفُ الشديدُ، فَهِيَ أَشَدُّ مِنَ الْخَوْفِ، ولا تَكُونُ الْخَشْيَةُ إلا مِنْ عَظَمَةِ الْمَخْشِيِّ وَإِنْ كَانَ الْخَاشِي ي نفسه قَوِيًّا، وَالْخَوْفُ يَكُونُ مِنْ ضَعْفِ الْخَائِفِ وَإِنْ كَانَ الْمُخَوِّفُ أَمْرًا يَسِيرًا، لِذَلِكَ وَرَدَتِ الْخَشْيَةُ غَالِبًا فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، كما قال تَعَالَى: ﴿ **مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** ﴾، وقال تَعَالَى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾، لِذَلِكَ فَرَّقَ اللهُ تَعَالَى بين اللفظين في قوله: ﴿ **وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ** ﴾، قال الزركشي رحمه الله: فَإِنَّ الْخَوْفَ مِنَ اللَّهِ لِعَظَمَتِهِ

يَخْشَاهُ كُلُّ أَحَدٍ كَيْفَ كَانَتْ حَالُهُ وَسُوءُ الْحِسَابِ رُبَّمَا لَا يَخَافُهُ مَنْ كَانَ عَالِمًا بِالْحِسَابِ وَحَاسَبَ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يحاسب وَقَالَ تَعَالَى ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العلماء** ﴾ وقال لموسى ﴿ لا تخف ﴾ أَيْ لَا يَكُونُ عِنْدَكَ مِنْ ضَعْفِ نَفْسِكِ ما تخاف منه من فِرْعَوْنَ، فَإِنْ قِيلَ: وَرَدَ: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ ﴾، قِيلَ: الْخَاشِي مِنَ اللَّهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَظَمَةِ اللَّهِ ضَعِيفٌ فَيَصِحُّ أَنْ يَقُولَ يَخْشَى رَبَّهُ لِعَظَمَتِهِ وَيَخَافُ رَبَّهُ أَيْ لِضَعْفِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَفِيهِ لَطِيفَةٌ وَهِيَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ الْمَلَائِكَةَ وَهُمْ أَقْوِيَاءُ ذَكَرَ صِفَتَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ويفعلون ما يؤمرون ﴾ فَبَيَّنَ أَنَّهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ضُعَفَاءُ وَلَمَّا ذَكَرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّاسِ وَهُمْ ضُعَفَاءُ لَا حَاجَةَ إِلَى بَيَانِ ضَعْفِهِمْ ذَكَرَ مَا يَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ ﴿ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ وَلَمَّا ذَكَرَ ضَعْفَ الْمَلَائِكَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُوَّةِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ ﴿ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ وَالْمُرَادُ فَوْقِيَّةٌ بِالْعَظَمَةِ.

- (**الشُّحُّ وَالْبُخْلُ**):

وَمن تلك الألفاظ التي يظن كثير من الناس أنها من المترادف، ولَا يَكَادُ اللُّغَوِيُّ يُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا الْبُخْلُ وَالشُّحُّ، فإن الشُّحَّ هُوَ الْبُخْلُ الشَّدِيدُ، لذلك قال الله تعالى: ﴿ **وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ** ﴾، الَ الرَّاغِبُ: الشُّحُّ بُخْلٌ مَعَ حِرْصٍ، وذلك فيما كان عادة. قال تعالى: ﴿ وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ ﴾، وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ ﴾، يقال: رجل شَحِيحٌ، وقوم أَشِحَّةٌ، قال تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ﴾، ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾، وما ببينهما من الفروق أن الشح الحرص على منع الخير، ولو كان من

الغير، والبخل منع الحق فلا يؤدي البخيل حق غيره عليه، قال أبو هلال العسكري: الشُّح الْحِرْص على منع الْخَيْر، وَالْبخل منع الْحق.

• (**الْبُخْلُ وَالضَّنُّ**):

وَمن تلك الألفاظ التي يظن كثير من الناس أنها من المترادف وليست كذلك الْبُخْلُ وَالضَّنُّ، فإِنَّ الضَّنَّ أَصْلُهُ أَنْ يَكُونَ بِالْعَوَارِي وَالْبُخْلَ بِالْهِبَاتِ وَلِهَذَا يُقَالُ هُوَ ضَنِينٌ بِعِلْمِهِ وَلَا يُقَالُ بَخِيلٌ لِأَنَّ الْعِلْمَ بِالْعَارِيَةِ أَشْبَهُ مِنْهُ بِالْهِبَةِ لِأَنَّ الْوَاهِبَ إِذَا وَهَبَ شَيْئًا خَرَجَ عَنْ مِلْكِهِ بِخِلَافِ الْعَارِيَةِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ** ﴾. وَلَمْ يَقُلْ: بِبَخِيلٍ.

• (**الْعَامُ وَالسَّنَةُ**):

وَمِنْ تلك الألفاظ التي يظن كثيرٌ من الناسِ أنها من المترادفِ، وليست كذلك، الْعَامُ وَالسَّنَةُ، فإن الْعَامُ يطلق على الدعة والرخاء، وَالسَّنَةُ تطلق على الشدة والكرب والضيق، ومن ذلك قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا** ﴾، فمدة دعوة نوح عليه السلام اشتملت على مشقة في الدعوة وشدة بسبب عناد قوم نوح وسخريتهم واستهزائهم بنوح عليه السلام، وما استراح نوح عليه السلام إلا بعد أن طهر الله تعالى الأرض من رجزهم؛ لذلك لما دعا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قُرَيْشٍ لما ضيقوا على المسلمين وآذوا المستضعفين قَالَ: «اللهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ»، وقال تعالى: ﴿ **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ**

بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾، فوصف السنن بأنهن شِدَادٌ، ووصف العام بالرخاء وأنه: فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ أي يأتيهم الغوث وَفِيهِ يَعْصِرُونَ من الرخاء والخير والبركة.

- (**مَدَّ وَأَمَدَّ**):

وَمِنْ تلك الألفاظ التي يظن كثيرٌ من الناسِ أنها من المترادفِ، وليست كذلك، فإن لفظ أَمَدَّ ذكر في حق المؤمنين غالبًا، كما قال تعالى: ﴿ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾، وذكر لفظ: مَدَّ في حق الكفارِ كما قال تعالى: ﴿ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً ﴾، مَدَّ وَأَمَدَّ قَالَ الرَّاغِبُ: أَكْثَرُ مَا جَاءَ الْإِمْدَادُ فِي المحبوب نحو: ﴿ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ ﴾ وَالْمَدُّ فِي الْمَكْرُوهِ نَحْوَ: ﴿ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً ﴾.

- (**السَّقْيُ وَالْإِسْقَاءُ**):

وَمِنْ تلك الألفاظ التي يظن كثيرٌ من الناسِ أنها من المترادفِ، وليست كذلك، سَقَى وَأَسْقَى، فإن سَقَى تفيد السلاسة والسهولة واليسر، وَأَسْقَى تدل على التكلف، قال الزركشي: فَالْأَوَّلُ لِمَا لَا كُلْفَةَ فِيهِ وَلِهَذَا ذُكِرَ فِي شَرَابِ الْجَنَّةِ نَحْوَ: ﴿ **وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا** ﴾، وَالثَّانِي لِمَا فِيهِ كُلْفَةٌ وَلِهَذَا ذُكِرَ فِي مَاءِ الدُّنْيَا نَحْوَ: ﴿ **لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً** ﴾، وَقَالَ الرَّاغِبُ: الْإِسْقَاءُ أَبْلَغُ مِنَ السَّقْيِ لِأَنَّ الْإِسْقَاءَ أَنْ يُجْعَلَ لَهُ مَا يَسْقِي مِنْهُ وَيَشْرَبُ وَالسَّقْيَ أَنْ يُعْطِيَهُ مَا يَشْرَبُ.

- (**العَمَلُ وَالفِعْلُ**):

وَمِنْ تلك الألفاظ التي يظن كثيرٌ من الناسِ أنها من المترادفِ، وليست كذلك، عَمِلَ وَفَعَلَ، فالأول يدل على التريث والتمهل في الشيء، والثاني يدلُ على السُّرْعَةِ، وأيضًا العَمَلُ يشتمل على القولِ وَالفَعْلُ معًا، قال الزركشي: فَالْأَوَّلُ لِمَا كَانَ مِن امْتِدَادِ زَمَانٍ نَحْوَ: ﴿ **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ** ﴾، ﴿ **مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا** ﴾؛ لِأَنَّ خَلْقَ الْأَنْعَامِ وَالثِّمَارِ وَالزُّرُوعِ بِامْتِدَادٍ، وَالثَّانِي بخلافه نحو: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ** ﴾، ﴿ **كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ** ﴾، ﴿ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾ لِأَنَّهَا إِهْلَاكَاتٌ وَقَعَتْ مِنْ غَيْرِ بُطْءٍ، ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ أَيْ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ وَلِهَذَا عَبَّرَ بِالْأَوَّلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ **وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾، حَيْثُ كَانَ الْمَقْصُودُ الْمُثَابَرَةَ عَلَيْهَا، لَا الْإِتْيَانَ بِهَا مَرَّةً أَوْ بِسُرْعَةٍ، وَبِالثَّانِي فِي قَوْلِهِ: ﴿ **وَافْعَلُوا الْخَيْرَ** ﴾، حَيْثُ كَانَ بِمَعْنَى سَارِعُوا كَمَا قَالَ: ﴿ **فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ** ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ** ﴾، حَيْثُ كَانَ الْقَصْدُ يَأْتُونَ بِهَا عَلَى سُرْعَةٍ مِنْ غَيْرِ تَوَانٍ.

- (**الْقُعُودُ وَالْجُلُوسُ**):

وَمِنْ تلك الألفاظ التي يظن كثيرٌ من الناسِ أنها من المترادفِ وليست كذلك، الْقُعُودُ وَالْجُلُوسُ، قال الزركشي: فَالْأَوَّلُ لِمَا فِيهِ لُبْثٌ بِخِلَافِ الثَّانِي وَلِهَذَا يُقَالُ: قَوَاعِدُ الْبَيْتِ وَلَا يُقَالُ: جَوَالِسُهُ لِلُزُومِهَا وَلُبْثِهَا وَيُقَالُ: جَلِيسُ الْمَلِكِ وَلَا يُقَالُ: قَعِيدُهُ لِأَنَّ مَجَالِسَ الْمُلُوكِ يُسْتَحَبُّ فِيهَا التَّخْفِيفُ وَلِهَذَا اسْتُعْمِلَ الْأَوَّلُ فِي قوله: ﴿ مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ لَا زَوَالَ لَهُ بِخِلَافِ ﴿ **تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ** ﴾ لِأَنَّهُ يُجْلَسُ فِيهِ زَمَانًا يَسِيرًا، ومن الفروق بين الْقُعُودِ وَالْجُلُوسِ أن الْقُعُودَ لا يكون إلا من قيامٍ،

والجلوس يكون من اضطجاعٍ، قَالَ الفيومي: وَالْجُلُوسُ غَيْرُ الْقُعُودِ فَإِنَّ الْجُلُوسَ هُوَ الِانْتِقَالُ مِنْ سُفْلٍ إلَى عُلْوٍ وَالْقُعُودُ هُوَ الِانْتِقَالُ مِنْ عُلْوٍ إلَى سُفْلٍ فَعَلَى الْأَوَّلِ يُقَالُ لِمَنْ هُوَ نَائِمٌ أَوْ سَاجِدٌ اجْلِسْ وَعَلَى الثَّانِي يُقَالُ لِمَنْ هُوَ قَائِمٌ اُقْعُدْ، وقال الخطابي: حكى لنا النضر بن شميل أنه دخل على المأمون عند مقدمه من مرو، فمثل بين يديه وسلم؛ فقال له المأمون اجلس، فقال: يا أمير المؤمنين ما أنا بمضطجع فأجلس، قال: فكيف تقول؟ قال: قل اقعد. فأمر له بجائزة.

- (**بَلَى وَنَعَمْ**):

وَمِنْ تلك الألفاظ التي يظن كثيرٌ من الناسِ أنها من المترادفِ وليست كذلك، بَلَى وَنَعَمْ، فإن بَلَى تأتي جوابًا لاسْتِفْهامٍ مُقْتَرِنٍ بنَفْيٍ، كقول القائل لغيره: ألم أحسن إليك؟ فيقول صاحبه: بلى. فيكون إقرارًا بإحسانه، ولو قال: نعم. كان إنكارًا لقوله، ومثالُ ذلك قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى** ﴾، يروى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ قَالَ: «**لَوْ قَالُوا نَعَمْ لَكَفَرُوا**»، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ** ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ** ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ** ﴾.

قالَ الرَّاغبُ: بَلَى رَدٌّ للنَّفْي، نَحْو قَوْله تَعَالَى: ﴿ **وَقَالُوا لن تَمسَّنا النَّار** ﴾، الآيَةُ، ﴿ بَلَى مِن كسب سَيِّئَة ﴾؛ وجوابٌ لاسْتِفْهامٍ مُقْتَرِنٍ بنَفْيٍ نَحْو: ﴿ **أَلَسْتُ بربِّكم؟ قَالُوا: بَلَى** ﴾؛ ونَعَم يقالُ فِي

الاسْتِفْهامِ نَحْو: ﴿ **هَل وَجَدْتُم مَا وَعَد رَبّكم حَقّاً؟ قَالُوا: نَعَم** ﴾، وَلَا يُقالُ هُنَا بَلَى، فَإِذا قيلَ: مَا عنْدِي شيءٌ، فقُلْتُ بَلَى، فَهُوَ رَدٌّ لكَلامِه، فَإِذا قُلْت نَعَم فإقْرارٌ منْكَ، وقالَ الأَزْهرِيُّ: إنَّما صارَتْ بَلَى تَتَّصِل بالجَحْدِ لأنَّها رجوعٌ عَن الجَحْدِ إِلَى التّحْقِيقِ، فَهُوَ بمنْزِلَةِ بَلْ، وبَلْ سَبِيلُها أَنْ تأْتي بَعْدَ الجَحْدِ كقَوْلِكَ: مَا قامَ أَخُوكَ بَلْ أَبُوكَ، وَإِذا قالَ الرَّجُلُ للرَّجُلِ أَلا تَقومُ؟ فَقَالَ لَهُ: بَلَى، أَرادَ: بَلْ أَقُومُ، فزادُوا الألِفَ على بَلْ ليحسن السُّكوتُ عَلَيْهَا، لأنَّه لَو قالَ بَلْ كانَ يتوقَّعُ كَلاماً بَعْد بَلْ، فَزادُوا الألِفَ ليزولَ عَن المخاطبِ هَذَا التَّوهُّم.

****

الفصل الرابع
من بلاغة القرآن الكريم(٣)

اقتصر الأقدمون عندما تحدثوا عن الاستعارة في القرآن على ذكر أنواعها من استعارة محسوس لمحسوس بجامع عقلى ومن استعارة محسوس لمعقول ومن استعارة معقول لمعقول أو لمحسوس ومن استعارة تصريحية أو مكنية ومن مرشحة أو مجردة إلى غير ذلك من ألوان الاستعارة ، وهم يذكرون هذه الألوان ويحصون ما ورد في القران منها، ويقفون عند ذلك فحسب وبعضهم يزيد فيجرى الاستعارة ظانا أنه بذلك قد أدى ما عليه من بيان الجمال الفنى في هذا اللون من التصوير ولم أر إلا ما ندر من وقوف بعضهم يتأمل بعض هذه اللمحات الفنية المؤثرة.

وليس مثل هذه الدراسة بمجد في تذوق الجمال وادرك أسراره ومن الخير أن تبين الأسرار التي دعت إلى إيثار الاستعارة على الكلمة الحقيقية، وإذا أنت مضيت إلى الألفاظ المستعارة رأينها من هذا النوع الموحى؛ لأنها اصدق أداة تجعل القارئ يحس بالمعنى اكمل إحساس، وأوفاه وتصّور المنظر للعين، وتنقل الصوت للأذن وتجعل الأمر المعنوي ملموسا محسا، وحسبي أن اقف عند بعض هذه الألفاظ المستعارة الموحية، نتبين سر اختيارها: قال سبحانه: **{ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا }** فكلمة **(**

٣- كتاب من بلاغة القرآن تأليف أحمد أحمد بدوي "بتصرف".

يموج) لاتقف عند استعارتها لمعنى (الاضطراب) بل إنها تصور للخيال هذا الجمع الحاشد من الناس احتشادا لا تدرك العين مداه حتى صار هذا الحشد الزاخر كبحر ترى العين منه ما تراه في البحر الزاخر من حركة وتموج واضطراب، ولا تأتي كلمة يموج إلا موحية بهذا المعنى ودالة عليه، وقال سبحانه: **{ربّ إني وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا}** وهنا لا تقف كلمة اشتعل عند معنى انتشر فحسب، ولكنها تحمل معنى دبيب الشيء في الرأس في بطء وثبات، كما النار في الفحم مبطئة ولكن في دأب واستمرار، حتى إذا تمكنت من الوقود اشتعلت في قوة لا تبقى ولا تذر.

كما يحرق الشيب ما يجاوره من شعر الشباب ،حتى لا يذر شيءئا إلا التهمة واتى عليه، وفي إسناد الاشتعال إلى الرأس ما يوحى بهذا الشمول الذي التهم كل شيء في الرأس وقد تحثنا فيما مضى عما توحى به كلمة تنفس من إثارة معنى الحياة التي تغمر الكون عند مطلع الفجر.

وقال تعالى: **{وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون}** فكلمة نسلخ تصور للعين انحسار الضوء عن الكون قليلا قليلا ودبيب الظلام إلى هذا الكون في بطء حتى إذا تراجع الضوء ظهر ما كان مختفيا من ظلمة الليل وقال تعالى: **{ وفي عاد إذا أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم}** ففي العقم ما يحمل إلى النفس معنى الاجداب الذي تحمله الريح معها. وكثر في القرآن اخذ الكلمات الموضوعة للأمور المحسوسة يدل بها على معقول معنوى يصير به كأنه ملموس مرئي فضلا عن إيحاءات

الكلمة إلى النفس خذ مثلا قوله تعالى: **{ وإذا اخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبينيه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون}** ألا ترى أن كلمة نبذ فضلا عن أنها تدل على الترك توحي إلى نفس القارئ معنى الإهمال والاحتقار لأن الذي ينبذ وراء الظهر إنما الحقير المهمل، وقوله تعالى: **{ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق }** فكلمة القذف توحي بهذه القوة التي يهبط بها الحق على الباطل وكلمة يدمغه توحى بتلك المعركة التي تنشب بين الحق والباطل حتى يصيب رأسه ويحطمه فلا يلبث أن يموت وتأمل قوة التعبير بالظلمات والنور يراد بها الكفر والإيمان في قوله تعالى:**{ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور}** وجمع الظلمات يصور لك إلى أي مدى ينبهم الطريق أمام الضال، فلا يهتدى إلى الحق وسط هذا الظلام المتراكم ومن ذلك قوله تعالى: **{ إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح }** فإنك تشعر في كلمة العقدة بهذا الربط القلبي الذي يربط قلبي الزوجين.....

ويطول بي القول إذا أنا وقفت عند كل استعارة من هذا اللون وحسبي أن أشعر الى بعض نماذجه كقوله تعالى: **{ فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين}** فكلمة الصدع بمعنى الجهر توحى بما سيكون من اثر هذه الدعوة الجديدة من إنها ستشق طريقها إلى القلوب وتحدث في النفوس اثر قويا وقوله تعالى:**{ واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا}** فاي صلة متينة ذلك الدين الذي يربطك بالله ، يثير هذا المعنى في نفسك هذا التعبير القوى المصور حبل الله، وقوله تعالى: **{ والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون}** وقوله

تعالى: **{ لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا}** وقوله تعالى: **{ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره}** وتأمل جمال إفراغ في قوله سبحانه: **{ ربنا افرغ علينا صبرا}** وما يثيره في نفسك من الطمأنينه التي يحس بها من هدأ جسمه بماء يلقي عليه وهذه الراحه تشبهها تلك الراحة النفسية ينالها من منح هبة الصبر الجميل – ومن الدقة القرآنية في استخدام الألفاظ المستعارة انه استخدم إفراغ وهي توحي باللين والرفق عند حديثه عن الصبر – وهو من رحمته فإذا جاء إلى العذاب استخدم كلمة صب فقال: **{ فصب عليهم ربك سوط عذاب }** وهي مؤذنه بالشدة والقوة معا.

وتأمل كذلك قوة كلمة زلزلوا في قوله تعالى:{ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصرالله ألا أن نصر الله قريب}** – ولو انك جهدت في أن تضع كلمة مكانها ما استطاعت أن تؤدى معنى هذا الاضطراب النفسي العنيف.

وقد تحدثنا فيما مضى عن جمال التعبير في قوله تعالى: { **ينقضون عهدالله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به يوصل}** – وقوله سبحانه: **{ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم}** – وقد يستمر القرآن في رسم الصورة المحسوسة بما يزيدهما قوة تمكن لها في النفس، كما ترى ذلك في قوله تعالى{ اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين} – فقد اكمل صورة الشراء بالحديث عن ربح التجارة والاهتداء في تصريف شؤونها – وقد يحتاج المرء إلى تريث يدرك به روعة التعبير كما تجد ذلك في قوله تعالى: **{ وضرب**

الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون} – فقد يبدو أن المناسبة تقضي أن يقال فالبسها الله لباس الجوع ولكن إيثار الذوق هنا لأن الجوع يشعر به ويذاق وصح أن يكون للجوع لباس لان الجوع يكسو صاحبه بثياب الهزال والضنى والشحوب.

وقد يشتد وضوح الأمر المعنوى في النفس ويقوى لديها قوة تسمح بان يكون اصلا يقاس عليه كما ترى ذلك في قوله سبحانه{ وأنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية} فهنا كان الطغيان المؤذن بالثورة والفوران أصلا يشبه به خروج الماء عن حده لما فيه من فورة واضطراب....

وعلى النسق جاء قوله تعالى{ وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتيه} فهذه الريح المدمرة يشبه خروجها عن حدها العتو والجبروت – وقد يحسم القرآن المعنى ويهب للجماد العقل والحياة زيادة في تصوير المعنى وتمثيله للنفس وذلك بعض مايعبر عنه البلاغيون بالاستعارة المكينة، ومن أروع هذا التجسيم قوله سبحانه: **{ ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح}** ألا تحس بالغضب هنا وكأنه إنسان يدفع موسى ويحثه على الانفعال والثورة ثم سكت وكف عن دفع موسى وتحريضه .. – ومن تعقيل الجماد قوله سبحانه{ ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا آتينا طائعين} وفي ذلك التعبير ما يدل على خضوعهما واستسلامهما... – وقوله سبحانه: { **فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقص فأقامه}** – وكأنما الجدار لشدة وهنه

وضعفه يؤثر الراحة لطول مامر به زمن وقوله تعالى: **{وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير}** – فهذا التمّيز من الغيظ يشعر بشدة ما جناه أولئك الكفرة حتى لقد شعر به واغتاظ منه هذا الذي لايحس وعلى هذا النسق قوله سبحانه: **{كلا إنها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى }** ألا تحس في هذا التعبير كأن النار تعرف أصحابها بسيماهم فتدعوهم إلى دخولها ومنه قوله تعالى: **{ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت}** – وفي ذلك ما يشعرك بالحياة التي تدب في الأرض حين تاخذ زخرفها وتتزين هذا

– وقد كثر الحديث عن قوله سبحانه: **{ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة}** ورووا ما يفهم منه أن أبا تمام قلد هذا التعبير فقال لا تسقنى ماء الملام فإنني صب قد استعذبت ماء بكائى حتى انه يروى أن أحدهم أرسل إليه زجاجة يطلب منه فيها شىءئا من ماء الملام فقال أبو تمام حتى تعطيني ريشة من جناح الذل، قيل فاستحسنوا منه ذلك الأمر

وعندى أن ليس الأمر على ما ذكروه وان هذا التعبير كناية عن الرفق في معاملة الوالدين واخدهما باللين والرقة كما تقول واخفض لهما الجناح ذلا ولكن لما ثمة صلة بين الجناح بمعنى جانب الإنسان وبين الذل إذ أن هذا الجانب هو مظهر الغطرسة حين يشمخ المرء بأنفه .. ومظهر التواضع حتى يتظامن– أجازت هذه الصلة إضافة الجناح للذل– – لا على معنى الملكية فلسنا بحاجة إلى تشبيه الذل بطائر

نستعير جناحه ولكنا بحاجة إلى استعارة الجناح للجانب وجمال ذلك هنا في أن اختيار كلمة الجناح في هذا الوضع يوحي بما ينبغي أن يظل به الابن أباه من رعاية وحب كما يظل الطائر صغار فراخه – وبما ذكرناه يبدو أن بيت أبى تمام لم يجر على نسق الآيه الكريمة فليس هناك صلة مابين الماء والملام تجيز هذه الإضافة ولا سيما أن إيحاء الكلمات في الجملة لاتساعد ابا تمام على إيصال تجربته الى قارئه فليس في سقى الماء ما يثير ألما ولو أنه قال لا تجرعنى غصص الملام لاستطاع بذلك أن يصور لنا شعوره تصويرا ادق وأوفى لما هاتان اللفظتان في نفس من المشقة والألم ... ·

وقد يكون الجمع بين كلمتين هو سر الإيحاء ومصدره كالجمع بين الناس والحجارة في قوله تعالى: **{ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين}** فهذا الجمع يوحي إلى النفس بالمشاكلة بينهما والتشابه وقد تكون العبارة بجملتها هي الموجهة كما تجد ذلك في قوله تعالى: **{ فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار}** ·

أولا تجد هذه الثياب من النار موحية لك بما يقاسيه هؤلاء القوم من عذاب اليم فقد خلقت الثياب يتقى بها اللابس الحر والقر فماذا يكون الحال إذا قدت الثياب من النيران... لو بغير الماء صدري شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى·

ومن هذا الباب قوله تعالى: **{من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك الذي يخوف الله به عباده فتقوه}**، فان الظلة إنما تكون ليتقى بها وهج الشمس فكيف إذا كانت الظلة نفسها من النيران

هذه امثلة قليلة لما في القرآن من كلمات شديدة الإيحاء قوية البعث لما تتضمنه من المعانى، وهناك عدد كبير من ألالفاظ تصور بحروفها فهذه الظاء والشىءن في وقوله تعالى: **{ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران}** والشين والهاء في قوله تعالى: **{ وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير إذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا و هي تفور، والظاء في قوله تعالى{ أنذرتكم نارا تلظى}**، والفاء في قوله سبحانه: **{ بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا }**حروف تنقل إليك صوت النار مغتاظة غاضبة، وحرف الصاد في قوله تعالى: **{ إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر}** يحمل إلى سمعك صوت الريح العاصفة كما تحمل الخاء في قوله سبحانه: **{وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون}**، إلى أذنك صوت الفلك تشق عباب الماء، وألفاظ القرآن مما يجرى على اللسان في سهولة ويسر ويعذب وقعه على الأذن في اتساق وانسجام...

قال البارزى في أول كتابه(أنوار التحصيل في أسرار التنزيل) أعلم أن المعنى الواحد قد يخبر عنه بألفاظ بعضها احسن من بعض وكذلك واحد من جزأي الجملة قد يعبر عنه بأفصح ما يلائم الجزء الآخر، ولا بد من استحضار معنى الجمل واستحضار جميع ما يلائمها من الألفاظ ثم استعمال انسبها وأفصحها واستحضار هذا متعذر على البشر في أكثر الأحوال، وذلك عتيد حاصل في علم الله، فلذلك كان القرآن احسن الحديث وأفصحه وان كان مشتملا على الفصيح والأفصح والمليح والأملح...

ولذلك أمثلة منها قوله تعالى: **{ وجنى الجنتين دان}** لوقال مكانه وثمر الجنتين قريب لم يقم مقامه من جهة الجناس بين الجني والجنيتين ومن جهة أن الثمرلا يشعر بمصيره الى حال يجنى فيها، ومن جهة مؤاخاة الفواصل ومنها قوله تعالى**{ وما كنت تتلو من قبله من كتاب}** احسن من التعبير تقرأ وذلك لثقل الهمزة، ومنها {لا ريب فيه }أحسن من لاشك فيه لثقل الإدغام ولهذا كثر ذكر الريب، ومنها {ولا تهنوا} احسن من ولا تضعفوا لخفته{ وهن العظم منى} احسن من(ضعف) لان الفتحة أخف من الضمة .

ومنها(آمن) أخف من صّدق ولذا كان ذكره اكثر من ذكر التصديق و(آثرك الله)أخف من فضّلك(وآتى) أخف من أعطى، (وأنذر) أخف من خوَّف و(خيرلكم) أخف من (افضل) لكم والمصدر في نحو(هذا خلق الله (يؤمنون بالغيب) أخف من(مخلوق) و(الغائب)، (ونكح) أخف من تزوج لان فَعَلَ اخف تفعّل ولهذا كان ذكر النكاح فيه أكثر، ولأجل التخفيف والاختصار استعمل لفظ الرحمة الغضب والرضا والحب والمقت في أوصاف الله تعالى مع انه لا يوصف بها حقيقة لأنه لو عّبر عن ذلك بألفاظ الحقيقة لطال الكلام كأنه يقال يعامله معاملة المحب والماقت فالمجاز في مثل هذا افضل من الحقيقة لخفته واختصاره، وابتنائه على التشبيه البليغ فان قوله{ فلما آسفونا انتقمنا منهم} احسن من فلما عاملونا معاملة المغضب أو(فلما أتوا إلينا بما يأتيه المغضب).

وهناك لفظتان أبى القرآن أن ينطق بهما ولعله وجد فيها ثقلا وهما كلمتا ا الآجر والأرضين أما الأولى فقد اعرض عنها سورة

القصص فبدل أن يقول: **{ وقال فرعون ياأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى فهيئ لى ياهامان آجرا فاجعل لي صرحا لعلى اطلع إلى إله موسى)** قال: **{وقال فرعون ياأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلى اطلع إلى إله موسى}**.

وأما الثانية فقد تركها في الآيه الكريمة**{ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علما}** هذا ومما ينبغي الاشاره إليه أن القرآن قد اقل من استخدام بعض الألفاظ فكان يستخدم الكلمة مرة او مرتين وليس مرجع ذلك لشيء سوى المقام الذي يستدعى ورود هذه الكلمة وللقرآن استعمالات يؤثرها فمن ذلك وصفه الحلال بالطيب، وذكر السجيل مع حجارة وإضافة الأساطير إلى الأولين وجعل مسنون وصفا للحمأ ويقرن التأثيم باللغو وإلا بذّمة ومختالا بفخور ويصف الكذب بأشر...

ووازن ابن الأثير بين كلمات استخدمها القرآن وجاءت في الشعر فمن ذلك انه جاءت لفظة واحدة في آية من القرآن وبيت من الشعر فجاءت في القرآن جزلة متينة وفي الشعر ركيكة ضعيفة، أما الآية فهي قوله تعالى**{ فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث أن ذلكم كان يؤذى النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق }**.

وأما بيت الشعر فهو قول أبى الطيب المتنبي:

تلذ له المروءة، وهي تؤذى ومن يعشق يلذ له الغرام

وهذا البيت من أبيات المعاني الشريفة الا أن لفظة تؤذى قد جاءت فيه وفي آيه القرآن فحطت من قدر البيت لضعف تركيبها وحسن موقعها في تركيب الآية،...

وهذه اللفظة التي هي إذا جاءت في الكلام فينبغي أن تكون مندرجة مع ما يأتى بعدها متعلقة به كقوله تعالى: **{أن ذلكم كان يؤذى النبي}** وقد جاءت في قول المتنبي منقطعة ألا ترى انه قال تلذ له المروءة وهي تؤذى، ثم قال ومن يعشق يلذ له الغرام فجاء بكلام مستأنف وقد جاءت هذه اللفظة بعينها في الحديث النبوي واضيف إليها كاف الخطاب فأزال ما بها من الضعف والركة قال((باسم الله ارقيك من كل داء يؤذيك)) .

وكذلك ورد في القرآن الكريم {إن هذا آخي له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة } فلفظة(لي) أيضا مثل لفظة يؤذى وقد جاءت في الايه مندرجة متعلقة بما بعدها ، وإذا جاءت منقطعة لا تجئ لائقة كقول أبى الطيب أيضا:

تمسى الأماني صرعى دون مبلغه فما يقول لشئ :ليت ذلك لى

وهنا من هذا النوع لفظة اخرى قد وردت في القران الكريم وفي بيت من شعر الفرزدق فجاءت في القرآن حسنة وفي بيت الشعر غير حسنة وتلك اللفظة هي لفظة القمل أما الآية فقوله تعالى**{ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات}** وأما بيت الشعر فقول الفرزدق:

من عزه احتجزت كليب عنده زريا كأنهم لديه القمّل

وإنما حسنت هذه اللفظة في الآية دون هذا البيت من الشعر لأنها جاءت في الآية مندرجة في ضمن كلام ولم ينقطع الكلام عنها وجاءت في الشعر قافية أي اخرا نقطع الكلام عندها، وإذا نظرنا إلى الحكمة أسرار الفصاحة في القرآن الكريم غُصنا في بحر عميق لا قرار له فمن ذلك هذه الآية المشار إليها فإنها قد تضمنت خمسة ألفاظ هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم واحسن هذه الألفاظ الخمسة هي الطوفان والجراد والدم فلما وردت هذه الالفاظ الخمسة بجملتها قدم منها لفظا الطوفان والجراد واخرت لفظة الدم آخراً وجعلت لفظه القمل والضفادع في الوسط ليطرق السمع أولا الحسن من الألفاظ الخمسة، وينتهى إليه آخرا ثم أن لفظة الدم احسن من لفظتي الطوفان والجراد و أخف في الاستعمال ومن اجل ذلك جئ بها ومراعاة مثل هذه الأسرار والدقائق في استعمال الالفاظ ليس من القدرة البشرية...

وقال ابن سنان الخفاجى معلقا على قول الشريف الرضى:

اعزز علىّ بأن أراك وقد خلت عن جانبيك مقاعد العواد

إيراد مقاعد في هذا البيت صحيح إلا انه موافق لما يكره في هذا الشان لا سيما وقد اضافة إلى من يحتمل إضافته إليهم، وهم العواد ،ولو انفرد، كان الأمر فيه سهلا ، فأما إضافته إلى ما ذكره ففيها قبح لا خفاء به، وابن سنان يشترط لفصاحة الكلمة ألا يكون قد عبر بها عن أمر أخر يكره ذكره...

قال ابن الاثير وقد جاءت هذه اللفظة المعيبة في الشعر في القرآن الكريم فجاءت حسنة مرضية وهى قوله تعالى:**{ وإذا غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال}** وكذلك قوله تعالى: **{و إنّا لمسنا**

السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وإنّا كنا نقعد منها للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا} ألا ترى إنها في هاتين الآيتين غير مضافة إلى من تقبح اضافته إليه، كما جاءت في الشعر ولو قال الشاعر بدلا من مقاعد العواد: مقاعد الزيارة ، أو ما جرى مجراه لذهب ذلك القبح وزالت الهجنة ، ولذا جاءت هذه اللفظة في الآيتين على ما تراه من الحسن وجاءت على ما تراه من القبح في قول الشريف الرضي الشاعر. ·

ومن ذلك استخدام كلمة(شىء) ترجع إليها في القرآن الكريم، فترى جمالها في مكانها المقسوم لها، واستمع الى قوله تعالى {وكان الله على كل شىء مقتدرا } وقوله تعالى:**{ أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون}** وقوله تعالى**{ فعسى أن تكرهوا شىءئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا}** وقوله تعالى: **(إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون** } إلى غير ذلك من عشرات الآيات التي وردت فيها تلك اللفظة وكانت متمكنة في مكانها افضل تمكن وأقواه ووازن بينها في تلك وبينها في قول المتنبي يمدح كافورا: ·

لو الفلك الدوار أبغضت سعيه لعوَّقه شئ عن الدوران

فإنك تحس بقلقلها في بيت المتنبي، ذلك إنها لم توح إلى الذهن بفكرة واضحة، تستقر النفس عندها وتطمئن، فلا يزال المرء بعد البيت يسائل نفسه عن هذا الشئ الذي يعوق الفلك عن الدوران فكان هذه اللفظة لم تقم بنصيبها في منح النفس الهدوء الذي يغمرها عندما تدرك المعنى وتطمئن إليه، ولم يزد مرور الزمن بألفاظ القرآن إلا حفظاً لإشراقها، وسياجا لجلالها، لم تهن لفظة ولم تتخل عن نصيبها، في

مكانها من الحسن وقد يقال أن كلمة الغائط من قوله سبحانه: **{ وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا}** قد أصابها الزمن فجعلها مما تنفر النفس من استعمالها ولكنا إذا تأملنا الموقف وانه موقف تشريع وترتيب أحكام وجدنا أن القرآن عبر أكرم تعبير عن المعنى وصاغه في كناية بارعة فمعنى الغائط في اللغة المكان المنخفض، كانوا يمضون إليه في تلك الحالة فتأمل أي كناية تستطيع استخدامها مكان هذه الكناية القرآنية البارعة، وإن شئت أن تتبين ذلك فضع مكانها كلمة (تبرزتم أو تبولتم) لترى ما يثور في النفس من صور ترسمها هاتان الكلمتان ومن ذلك كله ترى كيف كان موقع هذه الكناية يوم نزل القرآن وإنها لا تزال إلى اليوم أسمى ما يمكن أن يستخدم في هذا الموضع التشريعي الصريحالاستعارة في القرآن الكريم.

****

الفصل الخامس
الحذف في القرآن الكريم

مقدمة:

الحذف ظاهرة لُغوية عامَّة ومشتركة بين جميع اللغات الإنسانيَّة؛ حيث يميل الناطقون بها إلى حذْف بعض العناصر بُغية الاختصار، أو حذف ما قد يُمكن للسامع فَهْمه اعتمادًا على القرائن المصاحبة: حاليَّة كانت أم عقليَّة، كما أنَّ الحذف قد يَعتري بعض عناصر الكلمة الواحدة، فيُسقط منها عنصرًا أو أكثر، وهذا ما يجعل هذا الموضوع يكتسي هذه الأهميَّة الكبرى من لَدن الدارسين النحويين والبلاغيين وغيرهم، ولكن مع ذلك فلم تُخَصَّص له بحوث مستقلة، وإنما ذُكِر في كتبهم بشكلٍ عام في فصول لا تَفي بالغرَض المطلوب؛ مما أحوجَنا إلى دراسة مستقلة عن الموضوع، وبالرغم من وجود بعض هذه الدراسات، فإنها ركَّزت على الجانب النحوي، وأغْفَلت الجوانب الأخرى، أو لَم تَنَلْ حقَّها الذي تستحقه، ومن أجْل ذلك فقد ارْتَأَيْت أن أُشارك في هذا الموضوع بهذا البحث الذي سأحاول فيه أنْ أمزجَ بين التنظير والتطبيق؛ حيث سأقوم بحول الله ومَدَده بعرْض التعاريف والأقسام أولاً، ثم أقوم بالتدليل عليها بأمثلة تُفهِمُ المعنى وتُوصِل إلى المطلوب، مع التركيز على الدراسة – نحوية وبلاغيَّة – في ارتباطها بالقرآن، بالإضافة إلى التعريف ببعض الأسرار والأغراض من هذه الظاهرة، وكذا محاولة إدراك بعض مظاهر الحذف، وبعض مواضعه في الكتاب

العزيز، مركِّزًا على حذف الفاعل الذي ينوب عنه فاعله؛ حتى لا تكون الدراسة مُهلهلة مترامِيَة الأطراف، لا يُستطَاعُ الإحاطة بها.

وأما عن خُطة البحث، فقد ارْتَأَيْت أن أجعلَه في فصلين كبيرين، وهما:

المبحث الأول: تعريف الحذف:

تعريف الحذف من الناحية اللغوية والاصطلاحيَّة: جاء في لسان العرب مادة "حذَف" ما يلي: حذَفَ الشيء يحذفُه حَذْفًا: قطَعه من طرَفه، والحُذافة: ما حُذِف من شيء فَطُرِح، وجاء فيه أيضًا ما يُفيد قَطْفَ الشيء من الطرَف، كما يُحْذَف طَرَف ذَنَب الشَّاة، والحذف: الرَّمْي عن جانبٍ، والضَّرْب عن جانبٍ.

والحُذَافَةُ: ما حُذِفَ من شيء فطُرِح، وأُذُنٌ حَذْفاء كأنها حُذِفَتْ؛ أي: قُطِعت، والحِذْفَةُ: القطعة من الثوب، وقد احْتَذَفه، وحذَفَ رأْسه حَذْفًا: ضرَبه، فقَطَع منه قطعة.

ويتَّضح من خلال هذه المُعطيات القاموسيَّة والمعجميَّة أنَّ المعنى الذي تُشير إليه كلمة "حذف" غالبًا، لا يُخرج عن ثلاثة معان أساسيَّة، وهي:

• القَطْعُ؛ إذ نقول كما جاء في لسان العرب: حذَف الشيء يَحذفه؛ أي: قطَعه من طرَفه.

• القَطْفُ، وهو أيضًا بمعنى القطع؛ كما ذَكَر صاحب اللسان: "قطَف الشيء يَقطفه؛ أي: قطَعه.

• الطَّرْح؛ إذ إنه لا يُحذَف شيء إلاَّ طُرِح، والطَّرْح كذلك الإسقاط.

إذًا فالحذف في اللغة يُحيل على القطْع والقطف والإسقاط، كما أنَّ المحذوف من الشيء هو المقطوع منه والساقط.

واصطلاحًا: إسقاط وطرْح جزءٍ من الكلام أو الاستغناء عنه؛ لدليل دَلَّ عليه، أو للعِلم به وكونه معروفًا.

وهذا التعريف الاصطلاحي لا يختلف عن التعريف اللغوي المشار إليه آنفًا، بل يُضارعه ويَجري في مجراه، والحذف من المباحث المهمَّة التي أشار إليها كلٌّ من النحويين والبلاغيين، واهتمُّوا بها اهتمامًا كبيرًا، وخصَّصوا له أبوابًا كاملة في مؤلَّفاتهم وكُتبهم، وإن اختَلفوا في طريقة التفسير والتحليل، وكذا في الجانب الذي اتَّخذوه مجالاً للدرس والتفسير، فالنحاة مثلاً انطَلقوا من المنطق الإعرابي، متوسِّلين ببعض التأويلات النحوية؛ مثل: "التقدير الإعرابي، والإضمار، والاستتار"؛ لدراسته والبحث فيه، وكان غرَضُهم في ذلك دراسة التركيب والعلاقات النحويَّة، وإيجاد أوْجه التفسير لحركة معيَّنة أو إعراب مُتضَمنٍ في التركيب النحوي لجملةٍ ما، وأمَّا البلاغيون فقد درَسوا الحذف من الناحية الدَّلالية، وحاوَلُوا إثبات مكامن الجمال وصور التفنُّن والإبداع في الكلام، وأوْضَحوا كونه من أسرار البلاغة – كما سيأتي أثناء الحديث عن كلام الجُرجاني وغيره من دارسي البلاغة العربية قديمًا وحديثًا، والمقصود من هذا الكلام أنَّ البيان والتحليل، ودراسة الأسباب الثاوية والكامنة وراء الحذف، وإيجاد تخريجات نحوية لذلك، هو موطن البحث ومجال الدراسة عند النحوي، وأمَّا البلاغي فدَورُه في هذا الباب بيان الأغراض البلاغية للحذف، وإيجاد المواضع التي يكون فيها هذا الحذف

أكثر تأثيرًا، وأبلغَ إيضاحًا وإمتاعًا للمتلقي؛ حتى يَتَوصَّل إلى مطلوبه، ويهجم على مقصوده بأرْوع تمثيلٍ، وأبدع بناءٍ وتصوير، ويحقِّق بذلك الغرَض البلاغي الذي يسعى إليه الأُدباء والشعراء، وهو الإمتاع الذي تتوخَّاه البلاغة العربية؛ إذ الإقناع قد لا يكون مقصودًا في هذا الجانب؛ لأن ذلك إنما تُعنَى به الخطابة والمناظرة – وإن تضمَّنا شيئًا من الإمتاع.

المبحث الثاني: مصطلح الحذف عند النحويين:

المطلب الأول: الحذف وما يقع فيه عند النحاة:

• تعريف الحذف والمواطن التي يقع فيها:

لقد اهتمَّ النحاة قديمًا بظاهرة "الحذف"، وأحْصَوا مواضعه، وأعطوا الأوْجه المُمكنة فيه، وفسَّروا بعض العِلل الكامنة وراءَه، وتحدَّثوا عنه في مباحث كثيرة – خصوصًا في باب نائب الفاعل – وإنْ عبَّروا عن هذا الحذف بمصطلحات كثيرة، مثل: الاستتار والإضمار، والدليل على ذلك ما ذكَره صاحب "البحر المحيط" أثناء تعليقه على قول ابن عطيَّة أثناء إعرابه لقوله تعالى: ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]؛ حيث قال: "فقوله: مضاف إلى الفاعل المضمر، لا يعني أنَّ المصدر أُضْمِر فيه الفاعل، وإنما سمَّاه مضمرًا لِمَا قدَّره من "كحبهم..."، أو يَعني بالمضمر المحذوف، وهو موجود في اصطلاح النحويين؛ أعني: أن يسمَّى الحذف إضمارًا"، وذلك لأنَّ اللفظتَيْن كليهما – أقصد الحذف والإضمار – تجتمعان في مادتهما اللغويَّة في معنى الإسقاط، ومن أجْل ذلك

فسنتطرَّق لبعض الفروق الموجودة بين هذه المصطلحات الثلاثة: "الحذف، والإضمار، والاستتار".

• أمَّا الحذف الذي سبَق تعريفه بأنه: "إسقاط وطرْح جزءٍ من الكلام، أو الاستغناء عنه لدليل دلَّ عليه، أو للعِلم به وكونه معروفًا"، وهذا المعنى ذاته يَستعمله النحاة في أبواب كثيرة من المباحث النحويَّة المهمَّة، ويُعلِّلون ذلك بمجموعة من العِلل التي يَختارونها ويقدِّرونها حسب ما تَقتضيه الضرورة والعِلة النحويَّة، وها هنا ذِكْر لبعض هذه المواضع التي ذكَرها هؤلاء النحاة مع التعليلات التي علَّلوا به هذا الحذف في المواطن التي عدَّدوها:

• الحذف في باب المبتدأ والخبر[٤]، ودليل ذلك ما ذكَره ابن يعيش في "المفصل" عند شرْحه لقول المؤلِّف: "ويجوز حذف أحدهما" – يقصد المبتدأ والخبر – واستخلص منه جواز حذف أحدهما لوجود قرينة حاليَّة أو لفظيَّة، تُغني عن النُّطق بأحدهما، فقال – رحمه الله –: "اعلمْ أنَّ المبتدأ والخبر جملة مفيدة تَحصل الفائدة بمجموعهما، فالمبتدأ معتمد الفائدة، والخبر محلُّ الفائدة، فلا بد منهما، إلاَّ أنه قد توجَد قرينة لفظيَّة أو حاليَّة تغني عن النُّطق بأحدهما، فيحذف لدَلالتها عليه"[٥]، ويقصد بذلك أنه يجوز حذْف المبتدأ والخبر كليهما، وإن كانت الفائدة متوقِّفة عليهما، وكانا عمدة في الكلام إذا فُهِم المعنى بدون اللفظ، فيُحذف أحدهما، ويكون مرادًا لفظًا وحكمًا؛ أي: إنَّ إعرابه يبقى على اعتبار حُكمه الأصلي كما لو كان هذا المحذوف؛ سواء أكان مبتدأ، أم خبرًا موجودًا، وقال المكودي معلِّقًا على قول ابن مالك في باب الابتداء:

وَحَذْفُ مَا يُعْلَمُ جَائِزٌ كَمَا ♦♦♦ تَقَولُ: زَيْدٌ بَعْدَ مَنْ عِندَكُمَا

"يعني أنه يجوز حذْف كلِّ واحدٍ من المبتدأ والخبر إذا عُلِم"[٦]، وذلك بعد أن ذكَر بعض الأحكام المتعلقة بالمبتدأ والخبر، وقد استدلَّ ابن مالك على حذْف الخبر بقوله: "كما تقول: زيد بعد مَن عندكما"، فزَيْدٌ مبتدأ والخبر محذوف للعِلم به، وتقديره: زيدٌ عندنا، ثم مثَّل لحذْف المبتدأ للعلم به بقوله:

وَفِي جَوَابِ كَيْفَ زَيْدٌ قُلْ: دَنِفْ [٧] ♦♦♦ فَزَيْدٌ اسْتُغْنِيَ عَنْهُ إِذْ عُرِفْ فدَنِفٌ خبرٌ، والمبتدأ محذوف تقديره: "زيد دَنِفٌ"، وفُهِمَ من قوله: "وَحَذْف ما يُعلم جائز" أنه يجوز حذف المبتدأ والخبر معًا إذا عُلِما، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ﴾ [الطلاق: ٤]؛ أي: فعِدَّتهن ثلاثة أشهر، فَحُذِفَ المبتدأ والخبر؛ لدلالة ما تقدَّم عليه؛ أي: قوله تعالى: ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ﴾ [الطلاق: ٤].

ومن أمثلته في حذف المبتدأ أيضًا: قول المُستهل – وهو الذي يطلب الهلالَ وينتظره –: "الهلالُ والله"؛ أي: هذا الهلال والله، ومثله إذا شَمَمت ريحًا طيبة، قلت: "المِسكُ والله"؛ أي: هو المِسكُ والله، أو هو المسكُ، فتُعرب كلمة "الهلال والمِسك" على النحو التالي:

"خبر مرفوع بالمبتدأ المحذوف، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهذا معنى بقاء حُكمه الذي هو الرفع".

• الحذف في باب المفعول المطلق، حيث ذكَر النحاة أنه يجوز حذف العامل في المصدر في نحو قولك لِمَن قال: ما ضرَبت زيدًا "بل ضربتين، وبل ضربًا شديدًا"، بل قد يكون واجبًا في حالات ذكَرها النحاة، ومنها ما يتعلَّق بعامل المصدر الآتي بدلاً من فعْله، كقولك: "ضربًا زيدًا"، ومثله ما جاء في قول الشاعر:

عَلَى حَينِ أَلْهَى النَّاسَ جُلُّ أُمُورِهِمْ ♦♦♦ فَنَدْلاً زُرَيقُ الْمَالَ نَدْلَ الثَّعَالِبِ

فندلاً: مصدر ندَل، وهو بدل من اللفظ بالفعل، والتقدير: "أندل ندلاً"، ويُعربها بعض النحاة على الشكل الآتي: نَدْلاً مفعول به منصوب لفعل محذوف تقديره أندل.

ويُحذف كذلك عامل المفعول المطلق إذا قُصِد به التفصيل؛ كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ [محمد: ٤]؛ إذ إنَّ قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ تفصيل لعاقبة ما قبله، وهو قوله – عزَّ وجلَّ –: ﴿ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ ﴾، فتقدير الكلام: "فإمَّا أن تمنُّوا منًّا، أو تُفدوا فِداءً"، وهناك مواضع أخرى ليس ها هنا مجال التفصيل فيها.

• الحذف في باب المنادى: والمنادى من منصوبات الأسماء التي أشار النحاة إلى وجود الحذف فيها؛ لأنَّ حُكم المنادى هو النصب – حُكمًا أو تقديرًا – وعامل النصب فيه؛ إمَّا فعل محذوف وجوبًا تقديره: "أدعو"، ناب حرف النداء منابَه، وإمَّا حرف النداء نفسه؛ لتضمُّنه معنى "أدعو"، وعلى الأول، فهو مفعول به للفعل المحذوف، وعلى الثاني فهو منصوب بـ"يا" نفسها.

فأصل "يا زيدُ": "أدعو زيدًا"، فالمنادى في محلِّ نصب على المفعوليَّة؛ لأنه مفعول به في المعنى، وناصبُه فعل محذوف تقديره: "أدعو"، كما يجوز حذف حرف النداء جوازًا في نحو: "يا زيدُ أقبلْ"، فتقول: "زيدُ أقبل"، وفي "يا عبدَ الله ارْكَب": "عبدَ الله اركب".

• الحذف في باب التحذير والإغراء، وهذا باب الحذف مذكور فيه أيضًا، والدليل على ذلك أنَّ النحاة عند تعرُّضهم لهذا المبحث، يعرِّفون أسلوب التحذير بأنه: "اسم منصوب معمول للفعل "أُحَذِّرُ" المحذوف ونحوه، ومنه قول الشاعر:

بَيْنِي وَبَيْنَكَ حُرْمَةٌ ♦♦♦ اللَّهَ فِي تَضْيِيعِهَا

بنصب لفظ الجلالة "اللَّهَ" بعامل محذوف تقديره: احْذَر الله، أو اخْشَه، أو اتَّقِه، أو نحو ذلك.

ولأسلوب الإغراء صُوَر مختلفة، منها: صورة الأمر، كالذي في قول الشاعر:

وَاحْذَرْ مُصَاحَبَةَ الدَّنِيِّ فَإِنَّهَا ♦♦♦ تُعْدِي كَمَا يُعْدِي الصَّحِيحَ الأَجْرَبُ

ومنها صورة النهي، كقول الأعرابي في لُغته وقد فتنته:

لاَ تَلُمْنِي فِي هَوَاهَا ♦♦♦ لَيْسَ يُرضِينِي سِوَاهَا

ومنها الصورة المبدوءة بالضمير "إيَّاك" وفروعه الخاصة بالخطاب، غير أنَّ الكثير من الصور السالفة لا يَخضع لأحكام هذا الباب، ولا تَنطبق عليه ضوابطه النحويَّة وقواعده؛ لأنَّ هذه الضوابط والقواعد والأحكام، لا تَنطبق إلاَّ على أنواع اصطلاحيَّة معيَّنة، وهي المقصودة من هذا الباب بكلِّ ما يَحويه؛ لأنها تشتمل على اسم منصوب يُعرَب مفعولاً به لفعلٍ محذوف، منها:

• نوع يقتصر فيه على ذِكْر المحذَّر منه فقط، كأن تقول محذِّرًا الطفل من النار: "النارَ"، وهذا التعبير حُذِف فيه شيْئان: الفعل الناصب للمفعول النار، والذي حُذِف جوازًا تقديره: "احْذَر"، أو شيء نحو هذا، مثل: "اجْتَنِب" حسب السياق، والثاني: الفاعل المحذوف الذي تقديره "أنت".

• ونوع يشتمل ذِكْر المحذَّر منه اسمًا ظاهرًا؛ إمَّا مُكررًا، أو معطوفًا، فالأوَّل مثل: "الخيانةَ الخيانةَ"، والثاني مثل: "الظلمَ والبَغيَ"، وحكم هذا النوع نصب الاسم في الصورتين كليهما بعاملٍ محذوف مع مرفوعه؛ أي: فاعله.

قسم ثالث يشتمل على ذِكْر اسم ظاهر مختوم بكاف الخطاب، نحو: "يَدكَ يدكَ"، وهناك أقسام أخرى لا يتَّسع المجال لذِكرها، والشاهد عندنا أنَّ هذا الأسلوب مما تواتَر القول فيه بالحذف عند النحاة، وكل ما قيل من أحكام نحويَّة عن التحذير ينطبق على أسلوب الإغراء، إلاَّ أنَّ هذا الأخير في مقابل الآخر من حيث معناه؛ لأنه يدلُّ على تنبيه المخاطب على أمرٍ محبوب، ويُنصب بعاملٍ محذوف تقديره: "الْزَم"، أو نحو ذلك.

• الحذف في باب الاختصاص، ويكون الاختصاص بإيراد جملة اعتراضيَّة لا محلَّ لها من الإعراب، وهي على ثلاثة صُوَر في الأشهر، يكون فيها الفعل محذوفًا حذفًا واجبًا، فيَنصب ما بعده، أو يُبنى على الضمِّ في محل نصب، فأمَّا القسم الذي يُبنى على الضم، فهو في نحو: "أنا أدافع – أيها الجندي – عن وطني، وبُني لشَبهه بالمنادى لفظًا، وموضعه النصب بفعلٍ واجب الحذف، فإذا قلت: أنا أفعل كذا أيها

الرجل، فتقدير عامله: أَخُصُّ بذلك أيها الرجل، والمراد بأيها المتكلم نفسه، وأمَّا القسم المعرب نصبًا، وهو المضاف وذُو الألف واللام – المعرف بـ"أل"، نحو: "نحن – العرب – أقْرَى الناس للضيف"، فنحن مبتدأ وخبره أقرى الناس، والعرب منصوب بفعلٍ واجب الحذف تقديره: "أخُصُّ"، وكذلك المضاف، نحو: قوله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((نحن – معاشرَ الأنبياء – لا نُورَث))، "فنحن" مبتدأ وخبره "لا نورث"، و"معاشر الأنبياء" مفعول بفعلٍ واجب الحذف[١٠]، ومثل ذلك أيضًا ما أنشدتْه هند بنت أبي عتبة متمثِّلة به يوم أُحُد[١١]:

نَحْنُ – بَنَاتِ طَارِقْ ♦♦♦ نَمْشِي عَلَى النَّمَارِقْ [١٢]

فقولها: "بنات" مفعول به لفعلٍ محذوف تقديره: "أخصُّ"، وعلامة النصب هنا في "بنات" الكسرة النائبة عن الفتحة؛ لأنها جمْع مؤنث سالِم.

وبالإضافة إلى هذه المواضع التي ذُكِرَت، فهناك مواضع أخرى يذكرها النحاة، خصوصًا في الأبواب التي تتعلَّق بالترخيم – وإن كان لا يترتب عليه أيُّ أثرٍ نحوي، وكذا باب الإضمار، فالإضمار: مصدر من ضَمُرَ يَضْمُرُ إضْمَارًا، والإضمار لغة: هو الإخفاء والتغييب؛ قال صاحب اللسان: "أَضْمَرْتُ الشيء: أَخْفَيته، وأَضْمَرَتْه الأَرضُ: غَيَّبَتْه؛ إمَّا بموت، وإمَّا بسَفَرٍ؛ قال الأَعشى:

أُرَانَا إِذَا أَضْمَرَتْكَ الْبِلاَ ♦♦♦ دُ نُجْفَى وَتُقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمْ

أراد: إذا غيَّبتْكَ البلادُ.

والإضمار، وقد يُحيل الإضمار كذلك على الضآلة والخَفاء والاستتار، يُقال: أضمرت السرَّ، إذا أخفيْته وكتَمته.

إذًا الإضمار هو الإخفاء والتغييب، فأضمَر الشيء بمعنى أخفاه وغيَّبه، وهذا يعني وجود هذا الشيء أصلاً، وإنما غُيِّب لغاية وأُخفِي لنكتة ما، وهذا كثير عند النحاة في أبواب النحو:

أمَّا الضمير اصطلاحًا، فهو يفيد ما يفيده المعنى اللغوي؛ وذلك لأنَّ الضمير من قولهم: "أضمَرت الشيء إذا سترته وأخفَيْته"، ومنه قولهم: "أضمَرت الشيء في نفسي، أو من الضمور وهو الهُزال؛ لأنه في الغالب قليل الحروف، ثم إنَّ تلك الحروف الموضوعة له غالبًا مهموسة – وهي التاء والكاف والهاء – والهمْس هو الصوت الخفيّ"].

وهو الاسم المتضمن للإشارة إلى المتكلم أو المخاطب أو الغائب، بعد سبْق ذِكره لفظًا أو تحقيقًا أو تقديرًا، أو معنًى أو حكمًا، وقد فرَّق الزركشي بين الحذف والإضمار، واشترَط في المضمَر بقاء الأثَر المقدَّر في اللفظ، في حين لا يُشترط ذلك في المحذوف، وذكَر أنه "لا بدَّ أن يكون فيما أُبْقِي دليلٌ على ما أُلْقِي"، وعليه فإنَّ الإضمار إسقاطٌ لعنصر ما مع الاحتفاظ به في الذهن.

أمَّا الضمير عند النحويين، فهو أحد المعارف السبعة، وهو اسم جامد يدلُّ على متكلم: "أنا، ياء المتكلم"، أو مخاطب: "أنت، أنتم"، أو غائب: "هو، هما"، وهو يُذكَر في باب الأفعال، وقد قسَّم النحاة الضمير بناءً على عدة اعتبارات، والمهم عندنا في هذا البحث هو ما يتعلَّق بالضمير، من حيث ظهوره في الكلام وعدمه؛ إذ إنه بناءً على هذا الاعتبار ينقسم إلى بارز ومُستتر، فأمَّا البارز فهو ماله صورة في اللفظ: كتابة ونُطقًا، والمُستتر هو ما يكون خفيًّا في النُّطق والكتابة، مثل

قولنا: "ساعِد غيرك"، فالفاعل هنا ضمير مستتر تقديره: "أنت"، وإنما سُمِّي ضميرًا؛ لأنه يُضمَر، ويُخفى ولا يُذْكر.

• الاستتار: جاء في اللسان "سَتَر" ما يلي: ستَر: سَتَر الشيء، يَسْتُرُه ويَسْتِرُه سَتْرًا وسَتَرًا: أخفاه؛ أنشَد ابن الأعرابي: ويَسْتُرُون الناسَ مِن غير سَتَر، والسَّتَر بالفتح: مصدر سَتَرْت الشيء أَسْتُرُه، إذا غَطَّيْته فاسْتَتَر هو، وتَسَتَّرَ؛ أَي: تَغَطَّى، وفي الحديث: ((إنَّ الله حَيِيٌّ سِتِّير، يحب السَّتر)).

سِتِّيرٌ: فَعِّيلٌ بمعنى فاعل؛ أَي: من شأْنه وإرادته حبُّ الستر والصَّوْن.

أما من الناحية الاصطلاحيَّة عند النحويين، فهو مصطلح يُطلق على ضمائر الرفع، والاستتار لا يتعلَّق به كثيرٌ من النِّقاش المحتدَم، خاصة في الحذف والاستتار.

ووَفْق ما تقدَّم نجد أنَّ الإضمار والاستتار يشتركان في المعنى اللغوي، بيد أنَّ الاستتار جزءٌ من الإضمار، والإضمار جزءٌ من الحذف، أمَّا العلاقة بين الاستتار والحذف، فتكمُن في أنَّ "الاستتار يكون في ضمائر الرفع، ويكون الحذف في أيِّ جزءٍ من أجزاء الجملة"، مع أنَّ في الحذف والاستتار إكمالَ النص ذهنيًّا، وهذا دليلٌ على أنَّ عنصرًا ما ليس موجودًا، مع احتياج الجملة إليه؛ سواء أكانت اسميَّة أم فعليَّة؛ لأنها قائمة على الفائدة، وما دام الموقف اللغوي يتطلَّب الإفادة عن طريق تقدير المحذوف، فلا بدَّ من تقديره لاكتمال المعنى، وقد سُمِّي عدم وجود الضمير استتارًا ولَم يُسَمَّ حذفًا؛ "لأنَّ الاستتار على تقدير الوجود، والحذف على تقدير عدمه"، فهم يقولون بوجودها مُختفية؛ لتكون المطابقة والرَّبط بها مكفولين؛ إذ لا بدَّ من ضمان توفير القرائن

التي تدلُّ على المعنى، ولو قالوا بحذْفها، لكانت هي نفسها في حال الحذف بحاجة إلى قرينة تدلُّ عليها؛ إذ لا حذْفَ دون قرينة، ومن أجْل ذلك فالحذف يحتاج إلى قرينة تدلُّ على المحذوف.

المطلب الثاني: أقوال النحاة في وقوع حذف الفاعل:

لقد اختَلف النحاة قديمًا حول مسألة حذف الفاعل، فأجازه قومٌ مطلقًا، ومنَعه قومٌ وشدَّدوا في ذلك، وتوسَّط قومٌ آخرون وأجازُوه بشروط، كأن تدلُّ عليه قرينة معيَّنة، ومنَعوه إذا انتَفى وجود ذلك، وهذا تلخيص مُوجَز لِمَا قالوه وذهبوا إليه:

• القسم الأول: وهم الذين يمنعون حذف الفاعل، ولا يُجيزون ذلك إلاَّ في مواضع سنذكرها؛ وذلك لأنهم يرون أنَّ الفاعل من العُمَد التي لا يستقيم الكلام دونها، كما أنَّهم قد أجازوا التقدير في المصدر المؤول وجعلوه فاعلاً، والذي دعاهم إلى ذلك قولُهم بمَسِيس حاجة الفعل للفاعل؛ كما قال صاحب النحو الوافي: "وقد دعاهم إلى تقدير "أن" – يقصد المصدر المؤول – حاجة الفعل الذي قبلها إلى فاعل"، وقال أيضًا: بعد أن تحدَّث عن امتناع حذفه: "لأنه – أي الفاعل – جزءٌ أساسي في جملته، لا تَستغني الجملة عنه لتكملة معناها الأصيل مع عامله؛ لذا لا يصحُّ حذفه".

• القسم الثاني: وهم قوم أجازوا حذفَه مطلقًا إذا وُجِد ما يدلُّ عليه، وممن قال بذلك "الكسائي ومَن نحا نحوه"[١٩]؛ كقوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ [القيامة: ٢٦]؛ أي: بلَغت الرُّوح، وقوله: ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾[ص: ٣٢]؛ أي: الشمس، وقوله: ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ ﴾ [الصافات: ١٧٧]، يعني العذاب؛ لقوله قبل هذه الآية: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [الصافات: ١٧٦].

وقد ردَّ أصحاب القول الأول على أصحاب هذا القول، وقالوا بأنَّ هذا الحذف ظاهري فقط.

• القسم الثالث: وهؤلاء يُمكن أن نَسِمَهم بالوسطيين؛ كما أشار إلى ذلك خالد بن عبدالكريم بسندي[٢٠]؛ لأنهم لَم يمنعوا حذف الفاعل الْبَتة، ولَم يُجيزوه إلاَّ مع قرينة، وقالوا بأن المنع من حذفه، إنما يكون بغير دَلالة تدلُّ عليه، وهذه الدَّلالة؛ إمَّا حاليَّة، أو مقاليَّة، فإذا وُجِدت إحداهما، فلا يمتنع جوازُه، ويدلُّ على حذفه قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ [القيامة: ٢٦]، فحُذِف فاعل "بلَغَت" والغرض النَّفْس، وليس مضمرًا؛ لأنه لَم يتقدَّم له ظاهر يفسِّره، وإنما دلَّت القرينة الحاليَّة عليه؛ لأنه في ذِكر الموت، ولا يَبلغ التراقي عند الموت إلاَّ النفس".

والذي يُمكن أن نَستخلصه أنَّ الفاعل عُمدة من عُمَد الكلام؛ إذ إن كلَّ فعلٍ يحتاج إلى فاعل، ولكنَّه قد يُحذف جوازًا أو وجوبًا في مواطنَ لداعٍ يقتضي ذلك، وهذه المواطن هي:

• أن يكون عامله مبنيًّا للمجهول، نحو: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وأصل الكلام كَتَبَ الله عليكم، ثم بُنِي الفعل للمجهول وجوبًا، وحلَّ محلَّه نائبُه،

وهذا المثال يدخل في باب ما لَم يُسَمَّ فاعله؛ كما يُسميه بعض القُدماء، أو نائب الفاعل؛ كما يُسميه آخرون.

• أن يكون الفاعل واو جماعة، أو ياءَ مخاطبة، وفِعْله مؤكَّد بنون التوكيد، نحو: "أيها الأبطال، لتَهْزِمُنَّ أعداءَكم"، في واو الجماعة.

ونحو: " لتُطِيعِنَّ ربَّكِ أو لتَنْدمِنَّ" في ياء المخاطبة.

فالفاعل في الحالتين كلتيهما محذوفٌ؛ لأن الفاعل جاء هنا واوَ جماعةٍ، وياء مخاطبة، فنقول مثلاً في إعراب "لتَهْزِمُنَّ": فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال: "نون الرفع، ونون التوكيد الثقيلة المكوَّنة من نونين"، والواو المحذوفة – لالْتِقاء الساكنين – فاعل مبني على السكون في محل رفع، والنون حرف توكيد مبني على الحذف لا محلَّ له من الإعراب، والشيء نفسه بالنسبة لـ"لتُطِيعِنَّ"، فأصلُه "تُطِيعِن – نَّ"، اجْتَمَعت ثلاث نونات، فحُذِفت نون الفعل، فصارَت: "تُطِيعِنَّ"، فالْتَقى ساكنان: ياء المخاطبة، والنون الأولى من التوكيد، فحُذِفت الياء؛ لدَلالة الكسرة السابقة عليها، وهناك من أضاف حالة أخرى، وهي:

• أن يكون عامله مصدرًا، نحو: "إكرامٌ الوالدَ مطلوبٌ"، والحذف هنا جائز، مع أنَّ النُّحاة اختَلفوا في المصدر: أهو جامد، "فحين ذاك لا يتحمَّل ضميرًا مستترًا فاعلاً، إلاَّ إذا كان نائبًا عن فاعله المحذوف"؟ أم غير جامد؟ وحين ذاك فهو مؤوَّل بمُشتق مُحتمل للضمير.

• أن يحذف لداعٍ بلاغي، شرْط وجود دليلٍ يدلُّ عليه.

وأضاف الكسائي موضعًا رابعًا، وهو أنَّ الفاعل يُحذف من الفعل الأول في باب التنازع، واختار الفرَّاء مَذهبه، وأضاف موضعًا

خامسًا، وهو الفعل "حاشا" الذي لا فاعلَ له، وهناك مواضع أخرى في الاستثناء المفرَّغ، نحو: ما قام إلاَّ هند، وفي أفْعِل بكَسْر العين في التعجُّب إذا دلَّ عليه متقدِّم، نحو: قوله تعالى ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ [مريم: ٣٨]، وفي نحو: ما قام وقعَد إلاَّ زيد؛ لأنه من الحذف لا من التنازع، فالإضمار في أحدهما يُفسد المعنى؛ لاقتضائه نفْيَ الفعل، وإنما هو منفي عن غيره، مُثبت له.

فهذه الحالات هي التي يجوز فيها حذْفُ الفاعل؛ أي: إنَّ الأصل فيه الذِّكر أو الاستتار جوازًا، أو وجوبًا، ولكن قد يُحذف إذا طرَأ عليه طارئ، وهذا الطارئ هو الحالات التي ذُكِرت، وما عدا ذلك، فإنه يُمتنع حذف الفاعل حسب قول المانعين.

المبحث الثالث: الحذف عند أهل البلاغة:

إنَّ الحذف من الأبواب اللطيفة والبديعة عند أهل اللغة العربية؛ حيث اعتبروه من المسائل التي تُكسب الكلام جمالاً وروعة، وتَمنحه جودة وبلاغة، بل إنه من الأساليب التي لا يُحسنها إلا المتمكِّنون في اللغة والبارعون في أساليبها، حتى إنَّ إمام البلاغة عبدالقاهر الجرجاني قال عن هذا الباب: "هو باب دقيق المَسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسِّحر؛ فإنك ترى به تَرْكَ الذِّكر أفصحَ من الذِّكر، والصَّمْت عن الإفادة أزيدَ للإفادة، وتَجدك أنطْقَ ما تكون بيانًا إذا لَم تُبِن".

ويَقصد الجرجاني بهذا القول أنَّ باب الحذف بابٌ دقيق لطيفٌ، يُكسب الكلام قوَّةً ومَتانة، يكون أشبه ما يكون بالسِّحر الذي يُبهر النفوس، ويذهب بالفكر مذاهبَ عجيبة لطيفة، والسر في ذلك – كما أشار الإمام – أنَّ تَرْك الإفصاح أبلغُ من الإفصاح نفسه، وأنَّ التلميح أبلغُ من التصريح، بل إنَّك تجد في بعض الأحايين السكوت أبلغَ جوابًا، وأحسن بيانًا، ثم سرَد الجرجاني مجموعة من الأمثلة الدالة على ما ذكَره، وأضاف قائلاً ومُعلِّقًا: "فتأمَّل الآن هذه الأبيات كلها، واسْتَقْرِها واحدًا واحدًا، وانظر إلى موقعها من نفسك، وإلى ما تجده من اللطف والظرف، إذا أنت مَرَرتَ بموضع الحذف منها، ثم قَلبت النفس عما تجد، وألطَفْتَ النظر فيما تحسُّ به، فإنَّك تعلم أنَّ الذي قلت كما قلت، وأنَّ رُبَّ حذفٍ هو قِلادة الجِيد، وقاعدة التجويد".

كما أنَّ الحذف من الأساليب التي اتَّخذتها العرب في كلامها؛ لتزيينه وتنميقه، وجَعْله أبلغَ تأثيرًا، وأكثر تعبيرًا، وهذا صاحب "فقه اللغة وسر العربية" قد خصَّص فصلاً لذلك، وَسَمَه بما يأتي: "فصل مُجمل في الحذف والاختصار"، وأشار أنه من سنن العرب المتبعة، والسنة – كما هو معلوم – الطريقة والمنهج المتَّبع والمُحْتذى – وقد سرَد في هذا الباب بعضَ المواضع التي حَذَفت فيها العرب حذفًا حسنًا وبديعًا.

والحذف عند أهل البلاغة قسمان:

• قسم يَظهر فيه المحذوف عند الإعراب، كقولهم: "أهلاً وسهلاً"، فإن نَصْبَها يدلُّ على ناصب محذوف يُقدَّر بنحو: "جِئت أهلاً، ونزَلْت مكانًا سهلاً"، وليس هذا القسم من البلاغة في شيء"[٢٥]، يعني أنَّ هذا القسم إنما يُعنى به علماء اللغة الذين يَدرسون العلاقات التركيبيَّة بين

الكلمات، ويُقَدِّرون المحذوفات حسب ما يقتضيه الإعراب، ويُحتِّمه موقع الكلمة من الإعراب.

• وقسم آخر لا يَظهر فيه المحذوف بالإعراب، وإنما تَعلم مكانه إذا أنت تصفَّحت المعنى وجَدته لا يتمُّ إلاَّ بِمُراعاته، نحو: "يعطي ويمنع"؛ أي: يعطي ما يشاء، ويَمنع ما يشاء، ولكن لا سبيلَ إلى إظهار ذلك المحذوف، ولو أنت أظهرته، لزَالت البهجة، وضاع ذلك الرَّونق"، وهذا هو القسم الذي تناقشه البلاغة، ويَظهر فيه دقائق البيان، ومكنون التعبير، وروائع الأسلوب.

وما ذكرناه آنفًا لا يَعني عدم وجود شيءٍ يدل على وجود الشيء المحذوف، وإلاَّ كان ذلك تعمية وتضليلاً – كما ذكَر د. يوسف الصميلي في تعليقه على كلام الجرجاني، بعد أن نقَله من الدلائل – حيث قال: "مع ذلك فإنَّ الأصل في جميع المحذوفات – حتى وإن تعلَّق الأمر بالبلاغة على مختلف ضروبها – أن يكون في الكلام ما يدلُّ عليها، وإلاَّ كان الحذف تعمية وإلغازًا، لا يُصار إليه بحال، ومِن شرْط حُسن الحذف أنه متى ظهَر المحذوف، زال ما كان في الكلام من البهجة والطلاوة، وصار إلى شيءٍ غَثٍّ لا تَناسُبَ بينه وبين ما كان عليه أولاً".

وأما عن أغراض الحذف عند البلاغيين، خصوصًا ما يتعلَّق بالمسند إليه، والتي تُعَدُّ من لطائف هذا الباب أمور، منها:

١– ظهور المحذوف بدلالة القرائن عليه، مثل قوله تعالى: ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ [الذاريات: ٢٩]؛ أي: أنا عجوز عقيم.

٢- إخفاء الأمر عن غير المخاطب، نحو:" أقبل"، تريد - مثلاً - عليًّا.

٣- تَيَسُّر الإنكار عند الحاجة، مثل: "لئيم خسيس" بعد أن ذَكَرت شخصًا معيَّنًا تُنكر عليه أمرًا.

٤- الخوف من فَوات فرصة سانحة، كقولك تُنَبِّه صيَّادًا: "غزال"؛ أي: هذا غزال، فاصْطَدْه، أو نحو ذلك.

٥- اختبار تَنَبُّه السامع، أو مقدار تَنَبُّهه، نحو: "نوره مُستفاد من نور الشمس، أو هو واسطة عقد الكواكب"، تقصد القمر في كلا الحالتين.

٦- ضِيق المقام عن إطالة الكلام بسبب تضجُّر أو توجُّع، كقول أحدهم:

قال: **كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ: عَلِيلُ ♦♦♦ سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلُ**

٧- المحافظة على السجع، نحو: "مَن طابَت سريرتُه، حُمِدت سيرته"؛ أي: لَم يَقُل: حَمِد الناس سيرته؛ للمحافظة على السجع المستلزِم رفْعَ الثانية.

٨- المحافظة على القافية، كقول أحدهم:

وَمَا المَالُ وَالأَهْلُونَ إِلاَّ وَدَائِعُ ♦♦♦ وَلاَ بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الوَدَائِعُ

وذلك أنَّ "ودائع" الأولى جاءَت مرفوعة، فحُذِف "الناس" في الشطر الثاني؛ حتى تأتِيَ مرفوعة، وإلاَّ جاءَت منصوبة؛ إذ إن أصلَ الكلام هو:"يَرُدُّ الناسُ الودائعَ".

٩- المحافظة على الوزن، كقوله:

عَلَى أَنَّنِي رَاضٍ أَنْ أَحْمِلَ الْهَوَى ♦♦♦ وَأَخْلُصَ مِنْهُ لاَ عَلَيَّ وَلاَ لِيَا

أي: لاَ لِي شيء، ولا عَلَيَّ شيء.

١٠- كون المسند إليه معيَّنًا بالحقيقة، مثل قوله تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ [الأنعام: ٧٣]، أو ادِّعاءً، نحو: وهاب الألوف؛ أي: فلان.

١١- الخوف منه أو عليه، وهذا في باب الفاعل ونائبه، نحو: ضُرِبَ سعيدٌ.

١٢- تكثير الفائدة، نحو: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف: ١٨].

بالإضافة إلى هذه الأغراض هناك أغراض أخرى بلاغيَّة ذكَرها النحاة وأهل البلاغة، منها: العِلم به، أو الخوف عليه، وكذا التحقير والإعظام، كما أنَّ الحذف قد يَرِدُ عند البلاغين في مواطن أخرى، مثل: "باب المجاز"؛ كقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢]؛ إذ الحذف عند بعضهم نوعٌ من أنواع المجاز، وهو ما ذهَب إليه سيبويه وغيره من أهل النظر.

والحذف هنا لا يُنسب إلى الكلمة المجاورة، وإنما إلى الجملة ككل، وإلاَّ كان ذلك لا يُفيد الكلام شيئًا؛ كما قال الإمام الجرجاني: "إنَّ من حقِّ المحذوف أو المَزيد أن يُنسب إلى جملة الكلام، لا إلى الكلمة المجاورة، فتقول في قوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ في الكلام حَذْفٌ، والأصل: "أهل القرية"؛ تعني: حُذِف من بين الكلام".

ويذكر أهل البلاغة الحذف أيضًا في باب الإيجاز، ويجعلونه القسمَ الثاني من هذا الأخير، ويسمونه بإيجاز الحذف، ويُشترط فيه أن يكون في الكلام ما يدلُّ على المحذوف، ومن أمثلته ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ [القصص: ٢٥].

حيث حُذِفت هنا جُمَلٌ برُمَّتها، وتقدير الكلام: فذهَبَتا إلى أبيهما، وقصَّتا عليه ما كان من أمر موسى، فأرسل إليه، ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾، وطريق الإيجاز هنا هو الحذف ، وهذا النوع من أهمِّ ما تهتمُّ به البلاغة في باب الحذف؛ لِمَا يتضمَّنه من أسرار بلاغيَّة بديعة جليلة، تُدلِّل على سُمو هذه اللغة وعُلو شأْنها – أسلوبًا وبلاغة، خصوصًا إذا كانت منظومة في الخطاب الذي أعْجَز البُلغاء والفُصحاء وأفْحَمَهم.

****

المصادر والمراجع

-**أسرار البلاغة**، عبد القاهر الجرجاني، شرح محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٨.

-**الأسلوب**، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط / ٥

-**أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين**، د. قيس الأوسي، بيت الحكمة بغداد ١٩٨٨.

-**الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة**، الجرجاني، تحقيق: عبد القادر حسين، دار نهضة مصر.

-**الإطناب**، أنواعه وقيمه البلاغية، د. محمود شاكر القطّان، لا دار نشر ١٩٨٦.

-**إعجاز القرآن، الباقّلاني**، تحقيق: السيّد أحمد صقر ط / ٤ دار المعارف ١٩٧٧.

-**الإيضاح في علوم البلاغة**، الخطيب القزويني، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧١.

-**البحث البلاغي عند العرب**، د. شفيع السيّد، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٧.

-**البيان والتبيين**، الجاحظ، تحق عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي بالقاهرة ط / ٣.

- **تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث. د. ت.

-**التعبير البياني**، رؤية بلاغية نقدية، د. شفيع السيّد، دار الفكر العربي ١٩٩٥.

-**التلخيص في علوم البلاغة**، الخطيب القزويني، تحقيق: البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٩٣٢.

-**جواهر البلاغة**، السيد أحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

-**خزانة الأدب**، البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكاتب العربي القاهرة ١٩٦٧.

-**دروس في البلاغة العربية**، الأزهر الزنّاد، المركز الثقافي العربي بيروت ١٩٩٢.

-**دلائل الإعجاز**، الجرجاني، شرح السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت ١٩٧٨.

-**سر الفصاحة**، ابن سنان الخفاجي، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي طبعة صبيح.

-**الصّحاح**، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين ١٩٧٤.

-**الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٠.

-**علم المعاني**، د. درويش الجندي، دار نهضة مصر، لا. ت.

-**علم المعاني**، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة بيروت ١٩٧١.
-**علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي**، د. محمد حسين علي الصغير، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٨٩
-**كتاب الصناعتين**، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي البجّاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧١.
-**المثل السائر**، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: الحوفي، بدوي طبّانة مصر ١٩٦٠ . ١٩٦٢.
-**مفتاح العلوم**، **السكّاكي**، شرح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣.

****

الفهرست

م	الموضوع	الصفحة
١	بيانات المقرر	٢
٢	رؤية الكلية ورسالتها	٣
٣	المقدمة	٤
٤	الباب الأول: علم المعاني	٧
٥	الباب الثانى: نماذج تطبيقية	٨٣
٦	المصادر والمراجع	١٤١
٧	الفهرست	١٤٤

تمت بحمد الله